مجلَّة الجامعة الإسلاميَّة
للُّغة العربيَّة وآدابها

مجلَّة عِلميَّة دَوْريَّة مُحكَّمة



العدد : 20
أبريل - يونيو 2026م

الجزء 2

Arcif
معامل التأثير والاستشهادات المرجعية العربي
Arab Citation & Impact Factor


الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
١٣٨١
١٩٦١


بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة عبر المنصّة الإلكترونية

البحوث المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطّبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. تركي بن صالح المعبدي

(رئيس هيئة التحرير)

أستاذ النحو والصرف المشارك بالجامعة الإسلامية

د. خليوي بن سامر العياضي

(مدير التحرير)

أستاذ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبد الرزاق بن فراج الصاعدي

أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالرحمن بن دخيل ربه المطرفي

أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية

أ.د. الزبير بن محمد أيوب

أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

د. مبارك بن شتيوي الحبيشي

أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد بن ظافر الحازمي

أستاذ اللسانيات بالجامعة الإسلامية

د. عبد المجيد بن عثمان اليتيمي

أستاذ أصول اللغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي

أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. علي بن محمد الحمود

أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبد الرحمن بن مصطفى السليمان

أستاذ اللّغات والآداب السامية والترجمة بجامعة لوفان – بلجيكا

أ.د. علاء محمد رأفت السيد

أستاذ النحو والصرف والعروض بجامعة القاهرة بمصر

أ.د. سعيد العوادي

أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب بجامعة القاضي عياض بالمغرب

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب التركستاني

أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد محمد أبو موسى

أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

أ.د. تركي بن سهو العتيبي

أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عياد بن عيد الثبيتي

أستاذ النحو والصرف بجامعة أم القرى

أ.د. سالم بن سليمان الخماش

أستاذ اللغويات بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد

أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود

أ.د. منصور بن محمد الغامدي

أستاذ الصوتيات الحاسوبية بهيئة تقويم التعليم والتدريب

أ.د. عبد الفتاح محمد حبيب

أستاذ النحو والصرف والعروض بكلية الزقازيق بجامعة الأزهر

أ.د. حسن دربر

أستاذ الترجمة وعلم المصطلح بجامعة القاضي عياض بالمغرب

أ.د. عزالدين محمد المجدوب

أستاذ اللسانيات بالجامعة التونسية

أ.د. محمد بن صالح الشنقيطي

أستاذ النقد الأدبي الحديث بجامعة جدارة بالأردن

أ.د. صالح بن الهادي رمضان

أستاذ الأدب والنقد بجامعة تونس

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:

– عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.

– مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.

– كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.

– مقدّمة.

– صلب البحث.

– خاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات.

– ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.

– رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.

- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثُه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة – في أي وعاء من أوعية النّشر – إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: https://journals.iu.edu.sa/ALS

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
١)	التعدد والتماثل في جموع تكسير المفردات الثلاثية المجردة دراسة وصفية في كتاب سيبويه (ت:١٨٠هـ) **د. ندى بنت صالح بن عبد الرحمن المحيميد**	١١
٢)	تعميم الدلالة في ألفاظ البئر **د. عبد العزيز بن صالح بن ردة الغانمي**	٨٥
٣)	التعبيراتُ الاصطلاحيةُ في كتابِ الزاهرِ في معاني كلماتِ الناسِ للأنباريِّ – دِراسَةٌ تَرْكيبيَّةٌ دِلاليَّةٌ **د. أمل مساعد سعد الأحمدي**	١٣٣
٤)	بلاغة التحولات السياقية في توجيه تنوّع القراءات: قصة سبأ أنموذجا **سعيد بن يحيى بن هادي العواجي**	١٩١
٥)	السِّياقُ وتنوعُ دلالات الصّوت في القرآنِ الكريمِ **د. نورة سلمان الجهني**	٢٥١
٦)	قضايا الاستشهاد في (موجز البلاغة) للطاهر ابن عاشور (١٣٩٣هـ) **د. هاني بن عبيد الله الصاعدي**	٢٩١

م	البحث	الصفحة
(٧)	آليات السبك النصي في ديوان رائحة التراب لإبراهيم مفتاح **د. أفراح أبو البشر محمد بابكر**	٣٥٥
(٨)	هندسة الأهواء في رواية "عرس الزين" للطيب صالح **د. عبد الله بن حسن محمد القرني**	٤٠٣
(٩)	منهج العقاد النَّقدي في مقدِّماته الغيرية كتَّاب القصَّة أنموذجًا دراسة تحليلية نقدية **د. ساري بن محمد الزهراني**	٤٦١
(١٠)	البنية الإيقاعية في ديوان: أبجديات الكون **د. أحلام بنت منصور الحميد القحطاني**	٥١٣
(١١)	فاعلية برنامج قائم على المسلمات النحوية في تنمية مهارات الإعراب لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها **د. عادل علي غانم السناني**	٥٧٣
(١٢)	فاعلية إستراتيجية التعلم القائم على المهام في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى **د. عبد الرحمن ضيف الله الهرساني**	٦٢٥

بلاغة التحولات السياقية في توجيه تنوّع القراءات: قصة سبأ أنموذجا

The Rhetoric of Contextual Shifts in Directing the Diversity of Qira'at (Qur'anic modes of recitation): The Story of Saba’ as a Case Study

د. سعيد بن يحيى بن هادي العواجي

أستاذ مشارك بقسم الأدب والبلاغة بالجامعة الإسلامية

البريد الإلكتروني: sawaji@iu.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
21/01/2026		25/02/2026
نشر البحث A Research Publication		
محرم ١٤٤٨هـ = May 2026		
DOI:10.36046/2356-000-020-016		

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل تنوّع القراءات القرآنية في قصة سبأ تحليلًا بلاغيًا سياقيًا، من خلال ربطه بالبناء السياقي والتحوّلات الخطابية في القصة، وتنطلق من أن تنوّع القراءات في قصة سبأ تنوّعٌ أدائيٌّ منتظم، يسهم في توسيع الدلالة وتوجيه الخطاب دون أن يفضي إلى تعدّد المعنى، وقد اعتمد البحث المنهج الاستقرائي مع الاستعانة بأداتي الوصف والتحليل، وتوظيف أدوات التحليل البلاغي والسياقي في تتبّع مواضع تنوّع القراءات، وربطها بسياقاتها اللغوية والخارجية، وتبيّن أن قصة سبأ تقوم على تكرار السياقات التالية: (نعمة—إعراض—عاقبة) مرتين بحيث أُعيدت في فضائي السكن والسفر بما يخدم الوظيفة التذكيرية والتحذيرية للخطاب القرآني، كما أظهرت النتائج أن تنوّع القراءات في سياقات النعمة والإعراض والعاقبة يؤدي وظائف بلاغية متمايزة من أبرزها توسيع الدلالة، والتدرّج من الوصف إلى التكليف، وكشف البنية النفسية للاعتراض، وبناء صورة بلاغية مركّبة للعقوبة، وخلصت الدراسة إلى أن تنوّع القراءات عنصر بنائي فاعل في تشكيل الدلالة وتحقيق التماسك النصي في الخطاب القصصي القرآني.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، السياق، التوجيه البلاغي، تنوع القراءات.

Abstract

This study aims to analyze the diversity of Quranic modes of recitation (Qirā'āt) in the story of Saba' through a contextual-rhetorical analysis, linking it to the contextual structure and discursive shifts within the narrative. It proceeds from the premise that the diversity of recitations in the Story of Saba' is a systematic performative variation that contributes to expanding signification and directing the discourse without leading to a multiplicity of meaning. The research adopted an inductive approach, utilizing the tools of description and analysis, and employing methods of rhetorical and contextual analysis to trace the instances of diverse readings and connect them to their linguistic and external contexts. The study revealed that the Story of Saba' is built upon the repetition of the following contexts: (Blessing – Rejection – Consequence) twice, such that they are reenacted within the spheres of residence and travel, serving the admonitory and warning function of the Qur'anic discourse. The results also showed that the diversity of recitations within the contexts of blessing, rejection, and consequence performs distinct rhetorical functions, most notably expanding signification, graduating from description to obligation, revealing the psychological structure of objection, and constructing a composite rhetorical image of punishment. The study concluded that the diversity of recitations is an active structural element in shaping signification and achieving textual coherence in the Qur'anic narrative discourse.

Rhetoric, Context, Rhetorical Guidance, Diversity of modes of recitation (Qirā'āt).

المقدمة

توجه القصة في القرآن الكريم الأذهان إلى دلالات عميقة، وتجعل من الحالة الوجدانية ذاكرة إيمانية مؤثرة في ظل الصراع بين الحق والباطل وبين الإذعان والاعتراض، والقصص القرآنية متعددة ومتنوعة ومتضمنة أساليب أسلوبية وقصصية وخطابية عديدة، كل ظاهرة فيها تحتاج إلى دراسة.

وجاءت قصة (سبأ) في سورة سبأ محملة بدلالات عميقة؛ لتوجيه القارئ نحو الثبات على المبدأ، والإيمان بالله مع الإرشاد إلى الالتزام بالتوحيد الخالص وعدم الاعتراض وكفران النعمة، والملاحظ أن آيات القصة في سورة (سبأ) على التصاق بما قبلها من آيات وبما بعدها من آيات؛ إذ إن السورة تتحدث عن تحولات أحوال العباد من حال إلى حال، إلا أن آيات القصة غزيرة بالأساليب وعميقة بالتحولات السياقية اللغوية والحالية.

ولاحظ الباحث من خلال القراءة في كتب التفاسير حديث عن سياقات القصة بشكل غير مباشر، مما ألهمه البحث في هذه القصة وسياقاتها، لكن الذي لفت نظر الباحث وجود اختلاف في القراءات داخل هذه السياقات ولذلك ارتأى أن يبحث عن الارتباط بين هذه السياقات وبين التنوع في القراءات.

ولا يخفى أن الدراسات البلاغية حول هذا الموضوع ليست متوسعه، وأن توجيه القراءات عادة ما تكون لغوية وصوتية ونحوية، ولذلك تتجه هذه الدراسة إلى التوجيه البلاغي من حيث ربط التنوع بالسياق وتحولاته؛ لتبحث في توجيه القراءات دلاليًا، وربط التنوع والاختلاف بالسياقات التي ترد فيها، ويكون هذا التوجيه من جهة البلاغة؛ لأن البلاغة هي الهدف الأخير في كشف المعنى وبيان الدلالة، إن البلاغة هي من تقوم

بالربط بين التفسير والنحو وعلم الأصوات والصرف وتنظمها في نظام واحد معرفيا، وتضيف عليها منهجيتها في سبر أغوار النص بعد تفكيكه، ومحاولة بناء دلالته العميقة، وعلى ضوء هذا جاء البحث بعنوان: **بلاغة التحولات السياقية في توجيه تنوع القراءات: قصة سبأ أنموذجا**.

أهداف الدراسة

١- بيان طبيعة التحوّلات السياقية في قصة سبأ، والكشف عن دورها في بناء الخطاب القرآني.

٢- حصر مواضع تنوّع القراءات في آيات قصة سبأ، وربطها بالسياقات التي ترد فيها.

٣- الكشف عن العلاقة بين تنوع القراءات والتحوّلات السياقية من منظور بلاغي.

٤- بيان الوظائف البلاغية التي ينجزها تنوّع القراءات داخل الخطاب القصصي في قصة سبأ.

٥- تقديم نموذج تطبيقي لتوجيه القراءات بلاغيا، يمكن الإفادة منه في دراسات أخرى.

الدراسات السابقة:

أولًا: الدراسات البلاغية في توجيه القراءات

تناول كتاب أحمد سعد محمد (التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية) وأصله رسالة دكتوراه عام ١٤١٨هـ من جامعة عين شمس[١] اختلاف القراءات من منظور بلاغي وربطه بمفهوم الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، واعتمد المنهج الوصفي التحليلي، مع تصنيف الظواهر البلاغية الناتجة عن اختلاف القراءة، وعلى الرغم من أهميتها في تأصيل

(١) أحمد سعد محمد، "التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية". (القاهرة: مكتبة الآداب).

التوجيه البلاغي للقراءات، فإنها لم تتجه إلى تحليل العلاقة بين القراءة وبين السياق اللغوي وغير اللغوي وتحولاتهما، وهو ما تسعى الدراسة الحالية إلى معالجته.

وتناولت دراسة عبد الرحيم بن عبد الرحمن المعنونة بـ "المعالم البلاغية في توجيه القراءات القرآنية"[(١)] إبراز العلاقة البينية بين علم توجيه القراءات وعلم البلاغة، واعتمد المنهج الاستقرائي التحليلي التطبيقي، وتوصل إلى سعة مجال بلاغة القراءات والحاجة إلى دراسات استقصائية. غير أن هذه الدراسة بقيت في إطار التصنيف البلاغي العام، بينما يتجه البحث الحالي إلى تحليل التحولات الدلالية السياقية وأثر القراءات في توجيه المعنى وبناء الخطاب من خلال قصة سبأ في سورة سبأ.

أما دراسة مناء الغامدي بعنوان: (القصدية التداولية في قصة قوم سبأ)[(٢)] ، فقد تناولت تجليات القصدية التداولية في قصة قوم سبأ في سورة سبأ، وبيّنت علاقتها بالمقصد العام للسورة ودورها في تحقيق الفاعلية التواصلية للنص، من خلال تحليل عدد من الوسائل اللغوية والبلاغية مثل الاستثناء والتكرار والتوكيد، مع اعتماد المنهج التداولي في الكشف عن كيفية توظيف اللغة لتحقيق مقاصد الخطاب وتوجيه المتلقّي. وتتفق الدراستان في تحليل قصة سبأ، بينما يختلف بحثي هذا عن هذه الدراسة في التركيز على بلاغة التحولات السياقية في توجيه تنوع القراءات داخل قصة سبأ.

وبحثت دراسة أخرى في القراءات القرآنية لتغريد الخطيب بعنوان: (اختلاف

(١) عبدالرحيم عبدالرحمن، "المعالم البلاغية في توجيه القراءات القرآنية". المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات ٢٠، (٢٠٢٠).

(٢) مناء الغامدي، "القصدية التداولية في قصة قوم سبأ". مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط ٢، (٢٠٢٣م).

أحرف التنزيل في القصص القرآني: قصة سبأ أنموذجًا)[١] الألفاظ التي اختلف القرّاء في قراءتها في قصة سبأ، وبيّنت أثر اختلاف القراءات في توجيه معاني القصة وتفسيرها، مع إبراز دور أحرف التنزيل والروايات الواردة عن الصحابة في تقوية بعض الدلالات التفسيرية للنص القرآني. ويتقاطع البحثان في تناول قصة سبأ وعلاقة القراءات بتوجيه المعنى، كما تتفق الدراستان في أن اختلاف الأحرف القرآنية في قصة سبأ من قبيل التنوع الذي لا تناقض فيه. غير أن هذا البحث يركّز على بلاغة التحولات السياقية في توجيه تنوع القراءات، وهو ما لم تتجه إليه دراسة الدكتورة تغريد الخطيب التي انحصرت في التوصيف القائم على علم القراءات وما يتصل به من علوم اللغة والتفسير، دون دراسة السياق بنوعيه اللغوي والمقامي، والانسجام الدلالي، والربط بين الآيات، إذ عالجت كل قراءة على حدة دون ربطها بسياقاتها، وهو ما تسعى هذه الدراسة إلى استدراكه من منظور بلاغي.

خطة الدراسة

المقدمة، وتشمل: مشكلة الدراسة، وأهدافها، والدراسات السابقة، وخطتها، ومنهجها.

التمهيد: تنوع القراءات والسياق في الدرس البلاغي القرآني

- مفهوم تنوع القراءات وحدوده.
- السياق في الخطاب القرآني.
- مدخل إلى قصة سبأ وسياقاتها العامة.

(١) تغريد الخطيب، "اختلاف أحرف التنزيل في القصص القرآني: قصة سبأ أنموذجا". مجلة كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط ٤٠، (٢٠٢٢م).

الفصل الأول: سياق النعمة.

الفصل الثاني: سياق الاعراض والتذمر.

الفصل الثالث: سياق العاقبة.

الخاتمة: وفيها نتائج الدراسة.

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة المنهج الاستقرائي مع استخدام أداتي الوصف والتحليل البلاغي، وذلك من خلال تتبّع مواضع تنوّع القراءات في آيات قصة سبأ، ووصفها، ثم تحليلها في ضوء السياقات التي ترد فيها، للكشف عن وظائفها البلاغية وأثر التحوّلات السياقية في توجيهها.

التمهيد: (تنوع القراءات والسياق في الدرس البلاغي القرآني)

مفهوم تنوع القراءات وحدوده

مفهوم القراءات لغة: مشتقة من مادة (ق ر أ)، وتدل القراءة في اللغة على الجمع وضم الشيء بعضه إلى بعض[١]، وتأتي بمعنى التلاوة[٢]؛ أي: ضمّ أصوات الحروف لتكوين الكلمات المنطوقة، ومن ثمّ يَتَجَهُّ هذا المعنى اللغوي في التعريف الاصطلاحي إلى جمع القراءات، وإلى اعتبار النطق أداءً عقليًا مرتبطًا باستيعاب الذهن له، وما يقتضيه الأثر من معانٍ عند التلقي.

مفهوم القراءات اصطلاحا: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة"[٣]، ويعد هذا التعريف الأساس المنهجي لعلم القراءات، من حيث كونه علمًا قائمًا على الأداء المنقول، وعلى وصف الكيفية، والتأكيد على الاختلاف في الرواية، والعزو إلى الناقلة، بما يؤكد أن القراءات ليست اجتهادًا فرديًا، وإنما ممارسة علمية محكومة بالنقل والرواية.

الأحرف السبعة وتنوع القراءات:

يُقرّ العلماء بأن القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف، اعتمادًا على ما دلّت عليه الأحاديث الصحيحة، غير أنهم اختلفوا في تحديد المقصود بهذه الأحرف وبيان

(١) جمال الدين ابن منظور، "لسان العرب". (مصر: دار المعارف، طبعة بولاق، ١٣٠٠هـ) ١: ١٢٦.

(٢) الراغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن". (ط١، بيروت: دار القلم، ١٤١٢هـ): ٦٦٨.

(٣) محمد ابن الجزري، "منجد المقرئين ومرشد الطالبين". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م): ٩.

معناها الاصطلاحي، فتعدّدت آراؤهم في تفسيرها، ومن هذه الأحاديث ما روي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال: "أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف"(١)، وهو ما يدل على التيسير في وجوه القراءة.

ويرى بعض العلماء أن المراد بالسبعة حقيقة العدد ولكن اختلفوا في تحديد ماهية الأحرف على قولين:

القول الأول: أنها لغات أو لهجات عربية نزل بها القرآن، كقريش وهذيل وهوازن وكنانة وتميم واليمن، أو قريش وهذيل وتميم وأسد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر، على اختلاف في حصر هذه القبائل وتحديدها(٢).

القول الثاني: ما ذكره ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ): وقد تتبعت وجوه الاختلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه:

١- الاختلاف في إعراب الكلمة أو حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغير معناها.

٢- أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب.

٣- أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها في الكتاب

(١) محمد بن إسماعيل البخاري، "صحيح البخاري"، كتاب فضائل القرآن، حديث رقم (٤٩٩١)، (ط١، بيروت: دار ابن كثير، ٢٠٠٢م)، ١٢٧٦.

(٢) ينظر: محمد القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن". تحقيق عبدالله التركي، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة: ٢٠٠٦م)، ١: ٧٦.

ولا يزيل صورتها.

٤- أن يكون الاختلاف في الكلمة يغير صورتها في الكتاب ولا يغير معناها.

٥- أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها.

٦- أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير.

٧- أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان[١].

يلاحظ أن ضبط اختلاف القراءات وتنوعها حاضرة في المنهجية العلمية لدى علماء القراءات، وهي مقرونة بالضابط الاصطلاحي المتمثل في عزو القراءة إلى ناقلها، كما يُلاحظ أن تنوّع القراءات واختلافها – بعد الوصف والتحرير – لا يفضي إلى تعدد المعنى في جوهره؛ إذ يبقى المعنى على ما هو عليه، وإن اختلف المنطوق، وتسعى إلى أن يظل المفهوم واحدًا، ويتسع التأويل الراجح داخله دون أن يُنتج معاني متعدّدة أو متغايرة بتعدّد أو تغير الأفهام.

ويُعدّ هذا أصلًا ضابطًا لهذه الدراسة، وضابطًا للتوجيه البلاغي القائم على السياق، وينبغي أن يكون ضابطا عاما في الدراسات البلاغية المتوجهة إلى دراسة القرآن الكريم.

وعلى ضوء ما سبق فإن الباحث يعرف مصطلح تنوّع القراءات إجرائيا بأنه: اختلاف أوجه القراءة في النص القرآني اختلافًا منضبطًا، ينتج عنه تنوّع وظيفي، ويتفاعل مع السياق الذي ترد فيه القراءة، بما يسهم في بناء المعنى وتوجيه الخطاب من منظور بلاغي.

ثانيا: مصطلح السياق

لغويا يرجع ابن فارس مادة (س و ق) إلى أصل واحد هو حدو الشيء[٢]، ويذكر

(١) عبدالله بن مسلم ابن قتيبة، "تأويل مشكل القرآن". تحقيق السيد أحمد صقر، (ط٢، القاهرة: دار التراث، ١٩٧٣م): ٣٦-٣٧.

(٢) أحمد بن فارس، "مقاييس اللغة". تحقيق عبدالسلام هارون، (بيروت: دار الجيل)، ٣: ١١٧.

الزبيدي أن أصل السِّياق هو سُوَاق فقُلبت الواو ياءً لانكسار السين[١]. والمعنى الحقيقي عند ابن فارس هو سَوْق الدواب، ويوسّع ابن منظور الدلالة لتشمل التتابع، فالسِّياق حركة تتابع الأبل يقود بعضها بعضًا[٢]، ثم تنتقل الدلالة عند الزبيدي إلى المجال اللغوي مجازيا ومنه أن يسوق الحديث أحسن سياق [٣].

فالسِّياق مجازًا هو: ترتيب الكلام وسرده على نظام متتابع يقود بعضه إلى بعض، كما تُساق الإبل في طريق واحد.

المفهوم الاصطلاحي للسياق:

السياق هو ما يصاحب اللفظ مما يعين على توضيح المعنى وتحديد المراد، سواء أكان هذا التوضيح ناتجًا عن موضع اللفظة في الاستعمال، أم عن عناصر غير لغوية مصاحبة للكلام تفسره وتكشف دلالته[٤]، وبناءً على ذلك لا يُنظر إلى اللفظ مفردًا، بل في علاقته بما قبله وما بعده، وفي السياقات التي قيل فيها، ومن هنا المعنى لا يثبت للفظ إلا داخل سياقه، وأن الدلالة تتولد من مجموع القرائن اللفظية والحالية.

أما البلاغيون فقد صاغوا هذا التصور في إطار معياري يقوم على المطابقة بين الكلام وبين مقتضى الحال، وعبّروا عنه بمقولاتهم المشهورة مثل: لكل مقام مقال، ولكل كلمة مع صاحبتها مقام، فالبلاغة عندهم لا تتحقق بمجرد فصاحة اللفظ، بل بمراعاة

(١) محمد الزبيدي، "تاج العروس"، تحقيق مصطفى حجازي، (مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٩م)، ٢٥: ٤٧٥.

(٢)ابن منظور، "لسان العرب". ٣: ٢١٥٤.

(٣) الزبيدي، "تاج العروس"، ٢٥: ٤٨٣.

(٤) ينظر: محمد أحمد أبو الفرج، "المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث". (ط١، مصر: دار النهضة، ١٩٦٦م): ١١٦.

أحوال المتكلمين والمخاطَبين، وتنوّع المقاصد والأغراض، واختلاف المقامات من شكر وشكاية، وتهنئة وتعزية، وإخبار واستفهام، وذكر وحذف[١]، وبذلك أصبح المقام عنصرًا حاكمًا في توجيه المعنى والحكم على بلاغة الكلام، وأضحى السياق شرطَ ضرورةٍ في الفهم والتقويم، يراعى أثناء التحليل.

يذهب السكاكي إلى أن "مدار حسن الكلام وقبحه على انطباق تركيبه على مقتضى الحال"[٢]، ويعرّف القزويني البلاغة بأنها "مطابقة الكلام لمقتضى الحال"[٣]، بينما يرى العسكري أنها "حسن التأليف أن توضع الألفاظ في مواضعها، وتمكن في أماكنها"[٤]، ويُفهم من مصطلح مقتضى الحال أن يكون الكلام منسجمًا مع الحالة التي يُقال فيها، ملائمًا للموقف الذي يَرِد ضمنه[٥]، أمّا عبد القاهر الجرجاني فقد صاغ هذا المعنى في إطارٍ أدقّ حين سمّى السياق اللغوي بـ"النَّظم"، وعرّفه بأنه "تعليق الكلم بعضِها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض"[٦] على وجهٍ يقتضيه العقل ويستدعيه المقام.

(١) السكاكي، "مفتاح العلوم". ضبط: نعيم زرزور، (ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م): ١٦٨.

(٢) السكاكي، "مفتاح العلوم": ١٧٥.

(٣) محمد القزويني، "التلخيص في علوم البلاغة". ضبطه: عبدالرحمن البرقوقي، (دار الفكر العربي، ١٩٠٤م): ٣٣.

(٤) أبو هلال العسكري، "الصناعتين". تحقيق محمد البجاوي، (لبنان: المكتبة العصرية، لبنان،١٤١٩هـ): ١٦١.

(٥) أحمد مطلوب، "معجم المصطلحات البلاغية". (ط٢، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٧م): ٦٤٢.

(٦) عبدالقاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز". تحقيق محمود شاكر، (ط٣، جدة: دار المدني، ١٩٩٢م): ٥٤.

ويفضي مجموع هذه المقولات إلى أن علماء البلاغة في التراث العربي قد أسّسوا لمفهوم السياق، تنظيرًا وتطبيقًا وتحليلًا، وإن اختلفت عباراتهم، فاجتمعوا على أن قيمة الكلام البلاغية لا تُستمد من ألفاظه مفردة، بل من انتظامها في بنيةٍ تراعِي النسق وتستجيب لمقتضيات الحال أو المقام.

وفي الدراسات اللسانية الحديثة عُدّ السياق مفهومًا علميا يقوم على تلازم عنصرين: السياق اللغوي المتمثل في تتابع الوحدات وانتظامها في نسق واحد، والسياق غير اللغوي أو سياق الموقف المتمثل في الملابسات الاجتماعية والثقافية المصاحبة للخطاب، وقد توسع هذا المفهوم ليشمل تقسيمات أدق، كالسياق التركيبي الذي يتحدد به المعنى من خلال البنية التركيبية أو هي" البنية النحوية التي ترد فيها الكلمة بوصفها وحدة نحوية"(١)، والسياق المعجمي الذي تضبطه العلاقات الدلالية بين المفردات أو "السياق الذي ترد فيه المفردة بوصفها وحدة دلالية معجمية"(٢).

فضلًا عن السياق الاجتماعي الذي يراعي عناصر المناسبة والعرف والزمان والمكان، ويتحدد المعنى في هذا التصور من تفاعل السياق اللغوي بالسياق الحالي معًا، ومن هذا المنطلق يُفهم سياق المقام أو سياق الحال في القرآن الكريم من خلال المناسبة أو السبب، ويُعبَّر عنه في كتب التفسير بسبب النزول، أو بما يَرِد من إشارات إلى العادات والمضامين والتقاليد التي يحتضنها النص القرآني(٣).

(١) عودة خليل عودة، "التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم". (ط١، الأردن: مكتبة المنار، ١٩٨٥م): ٧٥.

(٢) المرجع السابق.

(٣) ينظر: عبدالحكيم القاسم، "دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير". (ط١، الرياض: دار التدمرية، ٢٠١٢م)، ١: ٩٠، و٢: ٣٥١.

وتشتغل هذه الدراسة على مستويين من السياق:

- الأول، السياق الخارجي أو ما يُعرف بالسياق غير اللغوي: ويتمثل في الإطار الذي يحدّد أطراف الخطاب، ومقاصده، ومضامينه، وأحواله، وأحداثه التاريخية والاجتماعية.
- والثاني، السياق الداخلي، أو السياق اللغوي: ويعنى بدراسة البنى اللغوية في مستوياتها المختلفة، من حيث علاقات السبك بين هذه البنى، والبنى التركيبية والمعجمية، وما تنهض به من وظائف دلالية داخل النص.

وبناءً على هذا التأسيس المنهجي للسياق يُنظر إلى تنوّع القراءات على أنه مظاهر لغوية صوتية وصرفية وتركيبية ومعجمية، تتضافر مع السياقات الخارجية في بناء الدلالة وتوجيه الفهم، بما يفضي إلى دراسة منضبطة تؤدي إلى فهم الوظائف البلاغية للخطاب القرآني.

السياق العام لقصة سبأ(١):

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾

(١) إسماعيل بن كثير، "تفسير القرآن العظيم". (ط١، لبنان: المكتبة العلمية، ١٩٩٤م)، ٣: ٤٨٥-٤٩٠.

فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ١٩ وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [سبأ: ١٥ – ٢٠].

يذكر تعالى ما كان لِسَبَإٍ في مسكنهم من النعمة والغبطة، والعَيْش الهنيّ الرغيد، واتّساع الأرزاق والزروع والثمار، حتى كانت آية في محلّهم الذي يسكنون فيه؛ إذ كانت لهم جنتان عن يمين وشمال، وبلدة طيبة وربٌّ غفور، وبُعث إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه ويشكروه بتوحيده وعبادته. وكان لهم وادٍ عظيم تأتيه سيول كثيرة، وبنوا سدًّا محكمًا يكون مجمعًا للماء، فغرسوا الأشجار واستغلّوا الثمار في غاية ما يكون من الكثرة والحسن، حتى ذُكر أن المرأة كانت تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها مكتل أو زنبيل فيتساقط فيه من الثمار ما يملؤه من غير كلفة ولا قطاف؛ لكثرته ونضجه واستوائه. وذُكر أيضًا اعتدال الهواء وصحة المزاج وعناية الله بهم، ليُوحِّدوه ويعبدوه.

ثم وقع الإعراض: أعرضوا عن توحيد الله وعبادته وشكره على ما أنعم به عليهم، وعدلوا إلى عبادة الشمس، فاستحقوا العقوبة: فأرسلنا عليهم سيل العرم، وقيل في العرم: المياه، وقيل الوادي، وقيل الجرذ، وقيل الماء الغزير؛ وبسبب ذلك بدّلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل؛ فتبدّلت الأشجار المثمرة الأنيقة النضرة إلى الأراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والثمر القليل، وذلك بسبب كفرهم وشركهم وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل؛ ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾.

ويأتي في السياق كذلك ذكر ما كان بينهم وبين القرى التي بارك فيها الله من

القرى الظاهرة المتواصلة المتقاربة، بحيث إن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء، بل حيث ما ينزل سيجد ماءً وثمرًا، ويقيل في قرية ويبيت في أخرى، وقدّر الله فيها السير وأباحه لهم فقال: سيروا فيها ليالي وأيامًا آمنين؛ ثم بطروا هذه النعمة فقالوا: ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم بكفرهم، فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق، فتفرّقوا في البلاد، ولهذا تقول العرب: تفرّقوا أيدي سبأ، وشذر مذر. وفي ذلك كله لعبرة ودلالة: إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور؛ صبّار على المصائب، شكور على النعم.

تحولات السياقات في قصة سبأ:

تبدأ القصة بسياق النعمة، ثم يعقبه سياق الإعراض، لتنتهي بالعاقبة، وذلك في إطار السَّكن والإقامة، ثم يعود السياق مرة أخرى إلى نعمةٍ متجددة، يعقبها إعراض، فتنتهي بعاقبة أخرى، ولكن هذه المرّة في إطار السَّفر والانتقال.

ويكشف هذا التكرار البنائي أن القصة لا تقوم على سرد القصة فقط، وإنما تُبنى على خطاب التذكير بعد التذكير، من خلال إعادة الخطاب في فضاءين مختلفين (السكن/السفر)، بما يرسّخ العبرة ويترك أثرا لدى القارئ.

والجدول التالي يوضح التحولات السياقية العامة للقصة:

رقم الآية	الآية	السياق	الفضاء الدلالي
١٥	لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ	سياق النعمة الأول	السكن والإقامة
١٦	فَأَعْرَضُوا۟	سياق الإعراض الأول	السكن والإقامة
١٦	فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ	سياق العاقبة الأول	السكن والإقامة
١٧	ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ	سياق العاقبة بالتذكير	عام/ شمولي
١٨	وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ	سياق النعمة الثاني	السفر والتنقل
١٩	فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ	سياق الإعراض والتذمر الثاني	السفر والتنقل
١٩	فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ	سياق العاقبة الثاني	السفر والتنقل
١٩-٢٠	إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ	الخاتمة السياقية سياق العاقبة بالتذكير	عام/ شمولي

وفيما يأتي بيان تطبيقي وتحليل بلاغي لهذه السياقات، مع الكشف عن الأنساق اللغوية والدلالية التي تسهم في توجيه معاني تنوّع القراءات داخل كل سياق من سياقات الخطاب القرآني.

الفصل الأول: سياق النعمة

أولًا: السياق غير اللغوي (الخارجي)

يتأسس سياق النعمة في آيتي سبأ (١٥، ١٨) على التذكير بحدث تاريخي، يخاطب العرب بما وقع لقومٍ كانوا قريبين منهم مكانًا وزمانًا، وهم قوم سبأ، وسبأ اسم لأبي اليمن ثم أصبحوا أمة، وجعلهم آية، أي: حجة واضحة وعلامة بينة[١]؛ ليكون ذلك أبلغ في الموعظة وأقرب إلى الاعتبار.

وقد تمثلت الآية العظمى التي جعلها الله لهم في جنتين عن يمين مسكنهم وعن شماله، محصورتين بين جبلين، حتى إن المرأة كانت تخرج بمكتلها على رأسها، فتمشي بين الجبلين فيمتلئ مكتلها من غير أن تمس بيدها شيئًا[٢]، في صورةٍ قصوى من وفرة الرزق وسهولة التحصيل.

ثم يأمرهم الله بالأكل من ثمرات هاتين الجنتين، وبشكره سبحانه على ما أنعم به عليهم من رزقه، لينتهي بذلك وصف النعمة الخاصة المرتبطة بالرزق، ويُستأنف خبرٌ آخر عن طبيعة البلدة نفسها، فيقال: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾، أي ليست سبخة ولا موبوءة، ولا يوجد فيها ما يؤذي من هوامٍّ أو آفات، ثم يُتبع ذلك بقوله: ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾، أي يغفر ذنوبكم إن أطعتموه[٣].

غير أنهم أعرضوا، لنجد السياق في الآيتين التاليتين (١٦ –١٧) يتحول إلى سياق الإعراض فسياق العاقبة، ثم يعود الحديث مرة أخرى للحديث عن سياق النعمة، حيث جاء في الآية الأخرى رقم (١٨) وصفٌ لنعمٍ إضافية، متعلقة بالسفر والأمن، وذلك في

(١) محمد بن جرير الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". (ط٣، مصر: مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، ١٩٦٨م)، ٢٢: ٧٦.

(٢) الطبري، "جامع البيان"، ٢٢: ٧٧.

(٣) الطبري، "جامع البيان"، ٢٢: ٧٨.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾، أي قرى متصلة متتابعة، كان أحدهم يغدو فيقيل في قرية، ويروح فيأوي إلى أخرى[١]، وكما أُمروا بالأكل في الآية (١٥)، أُمروا هنا بالسير، فقال لهم: ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾، أي لا يخافون جوعًا ولا عطشًا ولا ظلمًا ولا اعتداءً[٢]، فالأمن والنعيم يشمل الإقامة والرحيل.

وبذلك يتبين أن نعم الله عليهم كانت شاملة، متكاملة، مستمرة، في الحضر والسفر، في المكان والزمان، ومع ذلك أعرضوا، وهو ما سيُبيَّن في الفصل الثاني.

ثانيًا: توصيف السياق اللغوي وعلاقات السبك في سياق النعيم:

- في الآية رقم (١٥)

افتتحت الآية بأسلوب التوكيد والتحقيق، من خلال لام التوكيد في ﴿لَقَدْ﴾، للابتداء وفائدتها توكيد مضمون الجملة، يقول ابن عثيمين: "كلما وجدت في القرآن (لقد) فإنها جملة مؤكدة بثلاثة مؤكدات وهي القسم المقدّر، واللام، وقد"[٣]، ويرى أن الآية مؤكدة بهذه المؤكدات الثلاث[٤]، وهذا التفسير يتفق مع ما بينه ابن هشام: حيث عد هذه اللام ابتدائية وفائدتها توكيد مضمون الجملة، وأن المشهور في دلالتها أنها لام القسم، ونقل رأيا آخر أنها تفيد التوكيد ويجوز فيها قسَمٌ مقدَّرٌ[٥]، وفي كلا التوجهين فإن اللام سواء أكانت لام قسم أم كانت لام توكيد متضمنة للقسم فإن الدلالة تتجه

(١) الطبري، "جامع البيان"، ٢٢: ٨٣- ٨٥.

(٢) الطبري، "جامع البيان"، ٢٢: ٨٥.

(٣) منير الدحام، "الشيخ ابن عثيمين (١٣٧٤-١٤٢١هـ) جهوده وآراؤه العلمية في علم البلاغة". (ط١، لبنان: دار ابن حزم، ٢٠١٣م): ٩٩.

(٤) محمد ابن عثيمين، "التفسير الثمين للعلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى"، اعتنى به أشرف كمال، (ط١، القاهرة: مكتبة الطبري، ٢٠٠٩م)، ١٠: ٣٢٨.

(٥) ابن هشام الأنصاري، "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب". تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، (مصر: مطبعة المدني، د.ت): ٢٢٩.

إلى تأكيد الله بحدوث القصة، حتى لا يظن أحدٌ بعدم وقوعها، والفعل الماضي الناقص ﴿كَانَ﴾ يدل على تحقق الوقوع، وفي التركيب النحوي، قُدِّم الخبر ﴿لسبأ﴾ على المبتدأ ﴿آيَةٌ﴾، على القول بأن آية اسم كان، وذلك لاقتضاء المقام تقديم المسند[١] وهو هنا بيان حال سبأ وعبرة ما حدث لهم فلذلك تم تقديمه.

ثم ينتقل السياق من الخبر إلى الإنشاء ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ﴾

فأمر الأكل للإباحة، إذْ عَدَّ السكاكي الإباحة من دلالات الأمر، ويربطها بأمرين: الأول مدى ارتباط الجملة بالمتكلم من جهة الاستعلاء بمعنى أن يكون الآمر أعلى من المأمور، والثاني ربط الدلالة بقرائن الأحوال وما يناسبه المقام [٢]، فالأمر للإباحة لأن الأكل غير منهي عنه، والسياق هنا ليس سياق تشريع بل سياق تذكير بالنعمة لقوم ظلموا أنفسهم، وقد ذكر التفتازاني أن صيغة الأمر تستعمل لغير طلب الاستعلاء مما يناسب المقام بحسب القرائن، وقد ذكر أن الأصوليين والبلاغيين قد بينوا أن من دلالات الأمر الندب أو الإباحة[٣].

أما أمر الشكر للإلزام، حيث إن اقتران الأمر بشكر الله موجبة بالدين وبالشريعة وبأمر الله الظاهر في القرآن الكريم، بل إن إرسال الرسل إلى قوم سبأ كانت لذلك، وفي السياق العام ذُكِر أن الله أرسل لقوم سبأ رسلا ولم يؤمنوا بهم، فاقتران الأمر بالشكر هي علاقة تعبُّدٍ مع المنعم ووظيفة هذا الأمر في البلاغة إلزام المخاطبين بشكر المنعم، يقول

(١) عبد المتعال الصعيدي، "بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة". (ط١٧، مصر: مكتبة الآداب،٢٠٠٥م)، ١: ١٤٤.

(٢) السكاكي، "مفتاح العلوم": ٣١٨-٣١٩.

(٣) سعد الدين التفتازاني، "المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم". تحقيق عبدالحميد الهنداوي، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م)، ٢: ٤٢٤-٤٢٥.

ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: "وجوب الشكر واجب عقلا كما هو واجب شرعا"(١)، أي: كلوا؛ لأن الرزق من ربكم، واشكروا؛ لأن النعمة تستوجب الاعتراف والإيمان والشكر له سبحانه.

ثم يتحول السياق اللغوي بلاغيًا من الإنشاء إلى الخبر في قوله: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾، وجاءتا جملتين اسميتين للدلالة على ثبوت النعمة واستمرارها لهم إن هم آمنوا، أي: قبل التذمر والإعراض وقبل العقوبة والهلاك.

علاقات السبك في الآية (١٥):

- الربط الإسنادي: بين سبأٍ وآية، أصليٌّ؛ لأن بناء الجمل تتكون من مسند ومسند إليه.
- الربط بالبدل: في (جنتان) بوصفها بدلًا من آية، وذلك باعتبار القراءة التي ترى أن الجنتين بدلا عن آية، وفي البلاغة يفسر البدل على أنه زيادة تقرير وإيضاح للمبدل عنه(٢).
- الفصل: بين الجملة الخبرية (جنتان) والجملة الطلبية (كلوا). تقوم مسألة الفصل والوصل في البلاغة على الربط بالواو العاطفة، ولا تكتفي البلاغة برصد وتوصيف الظاهرة الأسلوبية، بل توجهها توجيها بلاغيا يفيد المعنى ويغنيه، وفي هذه الآية تظهر مسألة الفصل من أجل التأثير على المتلقي، حيث تستأنف الجملة "كلوا من رزق الله واشكروا له" بدون استعمال حرف العطف الواو بعد قوله تعالى: "جنتان عن يمين وشمال"، لأن الاستئناف بدون واو بناء معنوي مختلف ينبغي الانتباه له، ثم لا توجد جهة جامعة تركيبية بين الجملتين مما يسمى في البلاغة بـ

(١) ابن عثيمين، "التفسير الثمين"، ١٠: ٣٤٤.

(٢) الصعيدي، "بغية الإيضاح"، ١: ١١٤.

(كمال الانقطاع) فالجملة الأولى خبرية والثانية إنشائية[١].

- العطف بالواو: بين (يمين وشمال) والوصل بين الجملتين: (كلوا واشكروا)، إذ استعملت الآية العطف بين يمين وشمال، والوصل بالواو العاطفة بين اشكروا اللاحقة وكلوا السابقة؛ وذلك لأن بينهم في السياق اللغوي جهة جامعة في الدلالة والحكم الإعرابي وفي العلاقة، إما اقتضاء في الأولى، وإما سببا ونتيجة في الثاني [٢].
- الفصل ثم الوصل: تعود الظاهرة مرة أخرى في الجملة الأخيرة من الآية ١٥، بين الجملتين الإنشائية السابقة ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾ وبين الجملتين الخبريتين في قوله: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾، وهنا كمال انقطاع[٣]؛ لأن الأولى إنشائية والثانية خبرية، ثم إن في الاستئناف توجيه عقلي لإدراك مضمون الجملة المستأنفة ومحتواها التأثيري، ثم جاء الربط بالوصل بينهما بالواو بين الجملة الخبرية اللاحقة رب غفور وبين الجملة الخبرية السابقة بلدة طيبة لاشتراكهما في جميع المستويات الأسلوبية والدلالية والحكم الإعرابي وأيضا للعلاقة المضمونية بين الأولى والثانية وهي علاقة شمولية في النعيم بين نعيم الدنيا الزائل وبين نعيم الآخرة الدائم، وثمة أسلوب بلاغي له دور في فهم سياق النعمة ألا وهو تنكير (بلدة) وتنكير (رب) وهذا التنكير المتكرر والتقسيم المنظم للدلالة على عظمة هذه البلدة، وأيضا على تعظيم الرب سبحانه عز وعلا وارتفع، فمن دلالات التنكير التعظيم[٤].

توصيف السياق اللغوي في الآية (١٨)

جاء فعل ﴿وَجَعَلْنَا﴾ بمعنى الإنشاء والإيجاد، وتعدّى إلى مفعول واحد هو قرى

(١) التفتازاني، "المطول"، ٢: ٤٣٩.
(٢) ينظر: التفتازاني، "المطول"، ٢: ٤٣٤.
(٣) التفتازاني، "المطول"، ٢: ٤٣٩.
(٤) الصعيدي، "بغية الإيضاح"، ١: ١٠٢.

ظاهرة، وأسند إلى الله بصيغة الجمع تعظيمًا، ثم عُطف عليه ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾، تأكيدًا لتكامل النعمة، وبلاغيا استعمل أداة الربط (واو العاطفة) بين الجملتين، وهو من الوصل الذي يسمى كمال الاتصال، للاشتراك في الحكم الإعرابي، وللاقتران في المناسبة الموضوعية.

ثم ينتقل السياق إلى الأمر الإباحي –كما في الآية (١٥) –: ﴿سِيرُوا﴾، ويُختَم بالحال: ﴿آمِنِينَ﴾، وصاحب الحال الواو في سيروا العائدة إلى قوم سبأ في الآية ١٥، وعبد القاهر الجرجاني يرى أن الحال إذا خلا من الواو فهو إثبات للحال في صاحبه، وتجعل الكلام خبرا واحدا، بمعنى أن يتصل أحد المعنين بالآخر، ولا تستأنف الحال في معنى آخر كما في الحال بالواو[١]، وفي هذا السياق يكون المعنى: إثبات الأمن للمسافرين.

والفعل الماضي هنا يؤكد تحقق وقوع النعمة في السفر، من طريقين: الأول أن من جعل بينهم وبين القرى التي باركها الله هو الله سبحانه، والثاني أن الفعل الماضي يدل على تحقق وقوعه.

علاقات السبك في الآية (١٨)

تُفيد الواو في قوله تعالى ﴿وجعلنا﴾ الربطَ السياقي بالآية الأولى ضمن سياق النعمة، وقد ذهب الشوكاني إلى أن هذه الواو معطوفة على قوله تعالى: ﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم آية﴾[٢]، بما يجعل الجملة امتدادًا لسياق النعمة، ويُلاحظ أن الخطاب في سياق النعمة يعتمد الواو العاطفة أداة ربط دلالي حيث تفيد الإضافة لمظاهر الإحسان وتُحافظ على استمرار النسق الخبري، في حين ينتقل السياق عند الاعتراض ثم العاقبة إلى الفاء الدالة على التعقيب والسببية، لترصد التحوّل من النعمة إلى العقوبة، ويستمر النسق بنفس الطريقة في الآية رقم (١٥) الربط بالواو بين (جعلنا وقدرنا)، ثم الفصل

(١) الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ٢١٣.

(٢) محمد الشوكاني، "فتح القدير". تحقيق سعيد اللحام، (لبنان: دار الفكر، ١٩٩٣م)، ٤: ٤٥٧.

بين الخبر (قدرنا) والطلب (سيروا) لكمال الانقطاع.

ثالثا: دلالات تنوع القراءات في سياق النعمة

لِسَبَإٍ / لِسَبَأَ

القراءة المعروفة (لِسَبَإٍ) بهمزة مكسورة ومنونة، وقُرِئتْ (لِسَبَأَ) [١]، اختلف المفسرون في تأويل القراءتين، فالطبري يرى أن صرفه وتنوينه على أنه اسم رجل، ومنعه من الصرف على أنه اسم قبيلة أو أرض[٢]، ويذهب الشوكاني إلى أن الصرف على إرادة الحيّ من الناس، ويقوّي ذلك قوله ﴿في مساكنهم﴾، ولو أريدت القبيلة لقيل مساكنها[٣]، أما ابن حيان الأندلسي فيرى أن الصرف يكون إذا أُريد به الحي أو الموضع أو الأب، والمنع إذا أُريدت القبيلة[٤].

وتؤدي القراءتان إلى اتساع المعنى من حيث شمول النعمة، فقراءة الصرف والتنوين تُبرز النعمة بوصفها واقعة على الحيّ والأفراد، بينما تُظهر قراءة منع الصرف شمولها للفضاء الاجتماعي قبيلةً أو أرضًا؛ وبذلك تتكامل القراءتان في تعميق صورة النعمة امتدادًا بشريًا ومكانيًا، ويرتبط هذا الاتساع الدلالي بالسياق اللغوي القائم على التوكيد، والقسم المقدر، والفعل الماضي، والأخبار المتتابعة، وجملتي الطلب بالأمر بينها، مما يُقرّر تحقق النعمة واستقرارها قبل التحول إلى سياق الإعراض ثم العاقبة.

---

(١) أبو عمرو والبزي وابن محيصن وحميد والأعمش بفتح الهمزة غير منونة، النوزاوازي، "المغني في القراءات". تحقيق محمود الشنقيطي، (ط١، السعودية: الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، ٢٠١٨م)، ٣: ١٣٩٦.

(٢) الطبري، "جامع البيان"، ٧٧.

(٣) الشوكاني، "فتح القدير"، ٤: ٤٥٤.

(٤) أبو حيان الأندلسي، "البحر المحيط". تحقيق صدقي محمد جميل، (مصر: دار الفكر للطباعة والنشر، ٢٠١٠م)، ٨: ٥٣٣

مَسْكَنِهِم / مَسَاكِنِهِم[١]

يرى الطبري أن قراءة ﴿مَسَاكِنِهِمْ﴾ بالجمع هي قراءة الجمهور، ومعناها منازل آل سبأ[٢]، وقرأ غيرهم بالإفراد ﴿مَسْكَنِهِمْ﴾. ويذهب ابن حيان الأندلسي إلى أن قراءة الجمع ظاهر؛ لأن لكل واحدٍ مسكنًا، وأما الإفراد فيُحمل على المصدر، أي في سكناهم، حتى لا يُراد بالمفرد الجمع إلا على وجهٍ سائغ[٣]، وهو ما عده سيبويه من باب الضرورة، ويرى الشوكاني أن وجه الجمع كثرة المنازل وتعددها، وأن الإفراد إما مصدر يشمل القليل والكثير، أو اسم مكان أريد به معنى الجمع[٤].

تبرز القراءتان في السياق الخارجي سعة العمران وانتشار النعمة على مستوى الجماعة، بما ينسجم مع واقع سبأ التاريخي واتساع مساكنهم، بينما تتسق مع السياق اللغوي السابق واللاحق القائم على التوكيد بالفعل الماضي، ثم الانتقال إلى أسلوب الأمر (كلوا – اشكروا)، ثم الجمل الخبرية (بلدة طيبة ورب غفور)، بما يجعل النعمة لغويا وواقعيا في مركز الفضاء الدلالي للسكن أثناء تأويل القراءة، ويتآزر ذلك مع المعجم الدلالي لسياق النعمة، حيث تحيل الجنتان إلى الخصب والإنبات، وعن يمين وشمال إلى الإحاطة والقرب المكاني، وكلوا من رزق ربكم إلى الإباحة والوفرة وسهولة التحصيل،

(١) مسكَنِهم: بغير الألف كوفيٌّ، غير أبي بكر، وقاسم، وابن سلوان، وكسر كاف مسكِنِهم علي، وخلف، والأعمش، قرأ حمزة، وخلف، وحفص، والأعمش، وطلحة من طريق الهمذاني، وابن أبي ليلى، وابن أبي عبلة، وكرداب، والكسائي في مسكَنهم بغير ألف، الباقون جمع، وهو الاختيار على أصل الجمع لا الجنس، يوسف بن علي البسكري، "الكامل في القراءات الخمسين". تحقيق عمر حمدان وتغريد حمدان، (ط١، المدينة المنورة: ٢٠١٥م)، ١١٠. القراءة المعروفة مساكنهم، ينظر: المغني في القراءات، ٤: ١٥١٠.

(٢) الطبري، "جامع البيان"، ٧٧.

(٣) أبو حيان الأندلسي، "البحر المحيط". ٨: ٥٣٣

(٤) الشوكاني، "فتح القدير"، ٤: ٤٥٤.

واشكروا له إلى الاستجابة والطاعة لله، ثم تُوصف البيئة ببلدة طيبة ويُتوَّج السياق برب غفور بما يحقق النعمة التامة لقوم سبأ، وبذلك تتكامل القراءتان في بناء صورة للنعيم لغويّةً ومكانيّةً، تمهيدًا للتحول إلى سياق الإعراض ثم العاقبة.

جَنَّتَان / جَنَّتَيْن(١)

يقول الطبري: رُفعت الجنة ترجمةً عن الآية؛ لأن معنى الآية ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ﴾ أي: هي جنتان عن أيمانهم وشمائلهم(٢)، وقال الزجاج: آية مرفوعة على أنها اسم كان، وجنتان وقعت على نوعين: على أنها بدل من آية، وعلى إضمار، كأنه لما قيل آية قيل: جنتان(٣)، وقال الفراء: الجنتان مرفوعتان لأنهما تفسير الآية (أي بدل)، ولو كان أحد الحرفين منصوبًا لكان صوابًا(٤)، وقيل: جنتان ابتداء، وخبره في قوله عن يمين وشمال، ولا يظهر هذا الوجه؛ لأنه نكرة، ولا مسوّغ للابتداء بها إلا أن يُقدَّر لها وصف محذوف، أي: جنتان لهم، أو عظيمتان لهم عن يمين وشمال(٥).

وقُرئت جنتين بالنصب، على أن آية اسم كان، وجنتين خبرها، وقيل: إن وجه كون الجنتين آية هو انقلابها إلى نبات الخمط، والأثل، والسدر مكان الأشجار المثمرة(٦)، وقال ابن عثيمين: جنة بدل من آية، ويجوز أن تكون عطف بيان؛ لأنها

(١) القراءة المعروفة جنتان، بألف للعشرة، وقُرِئ جنتين بالياء بدل الألف لابن أبي عيلة، "المغني في القراءات"، ٤: ١٥١١.

(٢) الطبري، "جامع التأويل" ص:٧٧-٧٨.

(٣) أبي إسحاق إبراهيم الزجاج، معاني القرآن، علق عليه: أحمد فتحي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، ج٤/٨..

(٤) أبو زكرياء يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن، تحقيق: محمد النجار، الدار المصرية، ٣٥٨.

(٥) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، مرجع سابق، ج٨/٥٣٤.

(٦) المرجع السابق.

بيّنت الآية ووضحتها[١]، وقال ابن عاشور: جنتان بدل من آية باعتبار تكملته بما اتصل به من المتعلَّق والقول المقدّر، وفي جعل جنتان في نظم الكلام بدلًا من آية كناية عن طيب تربة بلادهم [٢].

يكشف الخلاف في إعراب (جنتان) عن وظيفة سياقية تتجاوز الجانب النحوي إلى بناء دلالة النعمة في القصة، فرفع (جنتان) على الترجمة، أو البدل، أو عطف البيان يجعل النعمة ذاتها هي الآية وزيادة إيضاح وتقرير، ويُصوِّر استقرار النعمة في مساكن آل سبا، ممتدة في المكان عن يمين وشمال، ومتحققة في الواقع قبل وقوع الإعراض، أمّا قراءة النصب، فجعلت الآية عنوانًا عامًا، والجنتين بيانًا لمظهرها، وهو توجيه يشير إلى النعمة من زاوية المآل، حين انقلبت الجنتان إلى خمط، وأثل، وسدر، فصار التحول آية كذلك وعاقبة، وبذلك يتكامل الخلاف الإعرابي مع السياق؛ إذ يؤسس الرفع لسياق الاستقرار، ويهيئ النصب للانتقال إلى سياق الإعراض ثم العاقبة، دون تعارض بين الوجهين، مما يُحكم بناء القصة ويعمّق أثرها البلاغي.

بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ / بَلْدَةً طَيِّبَةً وَرَبًّا غَفُورًا[٣]

ذهب الزجّاج والنحّاس إلى أن قوله تعالى: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ مرفوع على معنى الإخبار، أي: هذه بلدةٌ طيبةٌ، والله ربٌّ غفور[٤]، فجعلوا التركيب قائمًا على تقدير اسم إشارة ومبتدأ محذوف. ويتفق معهم ابن عثيمين[٥]، إذ يرى أن الجملتين

(١) ابن عثيمين، التفسير الثمين، مرجع السابق، ج١٠/ ٣٣٤.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، ط١، لبنان، ج٢٢/٣٤-٣٦.

(٣)نصبا: حميد بن الوزير عن يعقوب، وأبو بشر القطان عنه، قرأ حميد بن الوزير عن يعقوب، وابن خثيم، والجوينيُّ، وعاصم الجحدري، والباقون رفعا وهو الاختيار لموافقة المصحف، الكامل في القراءات، مرجع سابق، م٦/١١١، ينظر: المغني في القراءات، مرجع سابق، ١٥١١.

(٤) الزجاج، مرجع سابق، ج٤/٨.

(٥) ابن عثيمين، التفسير الثمين، مرجع سابق. ج١٠/٣٣٠.

خبران لمبتدأ محذوف، وتقديره: هي بلدةٌ طيبةٌ، والله ربٌّ غفور.

ويذهب ابن عاشور إلى أن جملة ﴿بلدةٌ طيبةٌ﴾ من تمام القول، وهي مستأنفة في الكلام المقول، بتقدير: بلدةٌ لكم طيبةٌ، وخبرها محذوف تقديره: لكم، وأن جملة ﴿وربٌّ غفورٌ﴾ معطوفة عليها، والتقدير: وربٌّ لكم، أي ربّكم غفور(١).

ثم جاءت قراءة النصب، فقرأ رُويس بنصب الأربعة، ووجَّه أحمد بن يحيى ذلك على إضمار فعل، أي: اسكنوا بلدةً طيبةً واعبدوا ربًّا غفورًا، وذهب الزمخشري إلى أن النصب على المدح(٢).

يوضح هذا التنوع في القراءات وفي التوجيه دلالة النعمة في سياق قصة سبأ، فإذا حُذِف المسند إليه في نحو: ﴿بلدةٌ طيبةٌ وربٌّ غفور﴾، اتجه الخطاب إلى تعظيم النعمة في ذاتها، أمّا إذا حُذِف الخبر (المسند)، كما في توجيه ابن عاشور بتقدير (لكم)، فإن الدلالة تستدعي قرب النعمة منهم وتخصيصها بالمخاطَبين، وحذف الخبر لدلالة السياق عليه، وتمهيدًا لتحميلهم مسؤولية الاعتراض، وإذا حُذِف فعل الأمر في قراءة النصب، وقدِّر نحو (اسكنوا، اعبدوا)، تحوّل التكليف من صيغة الأمر الصريح إلى نعمة ميسَّرة تُفهم بدلالة السياق الذي يشير إلى فضل الله عليهم سبحانه، أمّا النصب على المدح، فيفصل الوصف عن الإسناد الخبري ليجعله مقام ثناءٍ مستقل قبل الانتقال إلى سياق الإعراض وما يترتب عليه من عاقبة.

رابعًا: وظائف تنوع القراءات بلاغيًّا في سياق النعمة (سورة سبأ: ١٥–١٨)

يؤدّي تنوّع القراءات في سياق النعمة وظائف بلاغيةً تتجاوز اختلاف الأداء الصوتي أو التوجيه النحوي، لتسهم في بناء المعنى الكلّي للقصة وتمهد الخطاب نفسيا للانتقال إلى السياقات اللاحقة، ومنها:

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق. ج٢٢/٣٦.

(٢) أبو حيان الأندلسي، "البحر المحيط". مرجع سابق. ج٨/٥٣٤.

أولًا، توسيع أفق النعمة:

تُسهم القراءات المتنوّعة في بيان سعة نعمة الله سبحانه، كما في (لِسَبَإٍ/لِسَبَأَ) و(مَسْكَنِهِم/مَسَاكِنِهِم)، إذ تتوزّع الدلالة بين الفرد والجماعة، وبين الحيّ والمكان، فيتحقّق شمول النعمة إنسانيًّا ومكانيًّا.

ثانيًا، ترسيخ النعمة قبل زوالها:

تؤكد رفع (جَنَّتَان) وجعلها بدلًا عن (آية)، أنها متحقّقة قبل الإعراض، أمّا قراءة النصب (جَنَّتَيْن) يربط التأويل بالتحوّل اللاحق حين تنقلب النعمة نفسها إلى عاقبة، وهكذا تتضافر القراءتان لإثبات حصول النعمة قبل الإعراض والتذمر، والتنبيه إلى إمكانية زوالها إذا لم يشكروا المنعم سبحانه.

ثالثًا، التدرّج من الوصف إلى التكليف:

في (بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ) يُفضي الرفع إلى خطاب وصفيّ يُعلي شأن النعمة، بينما تستدعي قراءات النصب –سواء بتقدير فعل أو على المدح– معنى القرب والاختصاص، وبذلك ينتقل السياق من توصيف النعمة إلى تحميل المخاطَبين مسؤولية الاستجابة لأمر الله، فمن يشكر الله ينجو ومن يكفر به يهلك.

رابعًا، التكامل مع النسق الأسلوبي العام:

ينسجم تنوّع القراءات مع تحولات السياقات اللغوية بين الخبر والإنشاء، وبين الوصل والفصل، ومع التحوّل من الواو الجامعة في سياق النعمة إلى استئناف الجملة من دون استخدام حرف العطف، أو التمهيد للتحول بالفاء السببيّة في سياق الإعراض من الآية التالية، فالقراءات تسهم مع أدوات السبك في بيان تماسك القصة القرآنية وأثرها الدلالي.

خامسا: وظيفة الإيضاح بعد الإجمال

تُؤدّي بعض أوجه القراءات وظيفةً بلاغية تتمثّل في الانتقال من الإجمال إلى

التفصيل، لشدّ الانتباه وترسيخ المعنى في الذهن، مثل: قراءة ﴿جَنَّتَانِ﴾ مرفوعة على البدل أو عطف البيان، فتجعل الآية متجسّدة في صورة حسّية واضحة، هي الجنتان عن يمين وشمال، وعلى قراءة النصب ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ يبقى الإجمال محفوظًا في لفظ (آية)، ويأتي التفصيل متأخرًا، في مآلها حين انقلبت إلى خمط وأثل وسدر.

سادسا: وظيفة التدرّج السياقي اللغوي.

يسهم تنوّع القراءات في تحقيق تدرّج سياقي داخلي منتظم، فالقراءات التي تُثْبِتُ الجمل الخبري (رفع: جنتان، بلدةٌ طيبةٌ، ربٌّ غفورٌ) تؤسس مرحلة الاستقرار النعيمي، حيث تُعرض النعمة بوصفها واقعًا قائمًا، أمّا القراءات التي تستدعي تقدير المحذوف (هي، لكم، اسكنوا، اعبدوا) أو تُفهم على المدح، فإنها تنقل الخطاب تدريجيًّا إلى مستوى التكليف الضمني.

سابعا: وظيفة الانسجام النصي

تُسهم القراءات المتنوّعة في حفظ الاتساق الشكلي والانسجام الدلالي، من خلال مقصد الآية وتعدّد طرق الأساليب؛ فالقراءات المختلفة تتوزّع على مستويات الإسناد، والحذف، والبدل، والإنشاء داخل الخطاب، لكنها جميعًا تظلّ خاضعة للمعنى في الفضاء الدلالي للسكن داخل سياق النعمة الأول قبل الإعراض.

الفصل الثاني: سياق الإعراض والتمرد

أولًا: السياق غير اللغوي / الخارجي

يظهر من سياق القصة أن نعيم قوم سبأ لم يستمر، حيث جاء الخطاب في الآية السابقة (١٥) مقرونًا بالأمر بشكر الله على النعمة بعبادته وطاعته وطلب المغفرة منه؛ ولكنهم أعرضوا، وقد أورد الطبري رواية مفادها أن الله بعث إلى سبأ ثلاثة عشر رسولًا فكذّبوهم[١]، ويرى ابن كثير أن الإعراض كان عن التوحيد والعبادة والشكر[٢]، في حين يذهب السعدي إلى أن الإعراض وقع عن المنعم سبحانه وتعالى[٣].

وفي سياق القصة يتتابع النعيم أولًا، ثم يعقبه الاعتراض، ويتجلى هذا الاعتراض في صور متعددة، من أبرزها:

- نكران المنعم سبحانه، إذ إن الله نسب النعمة إلى نفسه صراحة بقوله: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾، ثم أحال عليه بضمير الغائب في قوله: ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾، فذُكر الرب ظاهرًا، ثم أُشير إليه بالضمير، في دلالة على وضوح المنعم وحضور أثره.
- ترك شكر الله عز وجل على ما أنعم به، ويُفهم ذلك من سياق المعنى، فالجنّة من الله، والرزق من الله، والشكر متوجّه إليه وحده، وقد خُتمت آية النعمة في الآية (١٥) بقوله: ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾، ثم جاء عقبها مباشرة قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا﴾، دون تصريح بمتعلَّق الإعراض، اعتمادًا على دلالة السياق وقربه الموضوعي والمكاني.
- الإعراض عن التوحيد والعبادة والشكر، ويتأكد هذا من السياق العام لسورة

(١) الطبري، "جامع البيان"، ٢٢: ٧٨.

(٢) ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٣: ٤٨٥.

(٣) عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان"، (جدة: دار المدني)، ٤: ١٨٤.

سبأ، التي افتُتحت بالحمد لله، وبيان علمه، وجزائه للصالحين، وعقابه للكافرين، ثم عرضت قصة داود وسليمان عليهما السلام بوصفهما نموذجين للنعمة المقرونة بالشكر والتوحيد والعبادة، ثم جاءت قصة قوم سبأ على النقيض من ذلك، إذ جاءتهم الرسل فكفروا، ولم يحققوا التوحيد، ولم يلتزموا بالعبادة، ولم يؤدّوا شكر النعمة.

دلائل التذمّر في سياق الآية رقم (١٩)

يتجلى الاعتراض والتذمّر في الآية رقم (١٩) من خلال قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾، حيث يعيد النص بيان إعراضهم وتذمرهم في الفضاء الدلالي للسفر، وقد اختلف المفسرون في توجيه القول على رأيين: الأول أن يكون على جهة الدعاء، والثاني أن يكون على جهة الخبر.

فأما على جهة الدعاء، فيذكر الطبري أنهم قالوا: يا ربنا باعد بين أسفارنا، واجعل بيننا وبين الشام فلواتٍ ومفاوز، لنركب الرواحل ونتزوّد الأزواد، وهو ما يدل على بطر القوم بنعمة الله عليهم، وجهلهم بمقدار العافية التي أُسبغت عليهم، وقد عُجّلت لهم الإجابة على هذا الدعاء[١]، وعند الشوكاني يتجه مجموع هذه القراءات على اختلاف صيغها إلى تصوير بطر النعمة من قوم سبأ، فإما دعوا ربهم إلى تباعد الأسفار ضجرا من القرب وكفرا بالنعمة، وإما أخبر عنهم بوقوع التباعد فعلا فصار الكلام شكوى وتذمرا، فاجتمع في السياق معنى طلب البُعْدِ ابتداءً ثم تحقق جزاءً، ثم ظهرت الشكوى منهم[٢].

ويأتي في السياق المضموني عقب ذلك قوله تعالى: ﴿وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾، أي

(١) الطبري، "جامع البيان"، ٢٢: ٨٥.

(٢) الشوكاني، "فتح القدير"، ٤: ٤٥٨.

كفروا بالله، وبطروا نعمته، وتعرّضوا لنقمته[١]، بينما يفسّر الطبري هذا الظلم بأنه ما وقع منهم من معاصٍ تُسخط الله عليهم وتوجب لهم العقاب[٢].

ومن خلال هذا السياق يُستدل على التذمّر والاعتراض بما يأتي:

- تعاقب النعمة ثم الإعراض، ويُفهم الإعراض في السياق على أنه إعراض عن المنعم، وعن توحيد الله، وعن طاعته وشكره.
- صدور الإعراض من قوم سبأ بتكذيب الأنبياء.
- ظهور التذمّر والشكوى صراحة في قولهم: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾.
- دلالة القول على التذمّر سواء أُوِّل دعاءً، أم إخبارًا، فالدعاء يحمل معنى البطر والكفر، والإخبار يتضمن الشكوى والتذمر.
- وصفهم بالظلم لأنفسهم في السياق، وهذا الظلم مرتبط بالأفعال الموجبة لهذا الوصف: الدعاء، والشكوى، وكفران النعمة، وبطرها، وردّ الحق.

ثانيًا: توصيف السياق اللغوي وعلاقات السبك في الآية رقم (١٦)

يُلاحظ في الآية وجود سياقين: سياق للتذمّر جاء وسيطًا بين النعمة والعاقبة، وسياق للعاقبة سيُتناول في الفصل الثالث. ويتكوّن سياق التذمّر في هذه الآية من لفظ واحد فقط هو قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا﴾.

وقد افتُتحت الآية بالفاء الدالة على التعقيب، ويكشف هذا التعقيب عن ترتيب الأحداث، إذ تقدّمت النعمة ثم أعقبها الاعتراض والتذمّر. وجاء الفعل بصيغة الماضي، بما ينسجم مع السياق القصصي ويدل على تحقق وقوع الفعل منهم، وتعود واو الجماعة في الفعل إلى قوم سبأ المذكورين في الآية السابقة، كما جاءت هذه الكلمة سببًا مباشرًا للعاقبة التي تلتها في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾، في إطار ارتباط السبب

(١) الشوكاني، "فتح القدير"، ٤: ٤٥٨.

(٢) الطبري، "جامع البيان"، ٢٢: ٨٥.

بالنتيجة والأثر، وقد قرر عبد القاهر الجرجاني أن حروف العطف توجب مع الإشراك معان، وأن الفاء على الخصوص تفيد الترتيب من غير تراخٍ، فإذا عُطِفت بها جملة على جملة تظهر فائدتها السببية(١)، وهذه الفائدة البلاغية هو ما يجده القارئ في هذا السياق.

توصيف السياق اللغوي وعلاقات السبك في الآية رقم (١٩)

تُقسَّم الآية رقم (١٩) كذلك بين سياق التذمّر وسياق العاقبة، والآية جاءت بعد سياق النعمة الثاني من آيات القصة، آية رقم (١٨)، حيث يظهر التذمّر في صدر الآية، وتأتي العاقبة في ختامها.

ويظهر سياق التذمّر فيها من خلال مستويين بلاغيين ناتجين عن تنوّع القراءة.

حيث يُبدأ بالسياق التركيبي، استُخدمت أداة العطف (الفاء) في قوله: ﴿فقَالُوا﴾ لربط سياق التذمّر الثاني في الآية (١٩) بسياق النعمة الثاني في الآية (١٨)، كما تحيل واو الجماعة إلى قوم سبأ منذ مفتتح القصة في الآية (١٥)، ويأتي فعل القول بوصفه أداة معجمية ترتبط دلالته بتنوّع القراءة، إذ يدل إمّا على الدعاء، أو على الإخبار.

ثم تأتي مقولة القول: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ﴾، وتحمل احتمال الدعاء والنداء، أو احتمال الخبر والشكوى ﴿رَبُّنَا بَاعَدْ﴾، وفي كلا النسقين توحي الدلالة التركيبية بالاعتراض والتذمّر. ويُختتم سياق التذمّر التركيبي في الآية بأداة العطف (الواو) التي تربط جملة ﴿وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بما قبلها ربط مشاركة بين (قالوا وظلموا) لأنها بينهما ارتباط في الحكم الإعرابي وفي المعنى المضموني، إذ إن القول تذمّر، والظلم تذمر بفعل ناتج عنه، وجاء في صيغة خبرية فعلية في الجملتين مما يدل على تحقق وقوعه، مما مهّد لاستحقاق العقوبة.

ثالثا: دلالات تنوّع القراءات في سياق التذمّر

السياق البلاغي الأول:

(١)الجرجاني، "دلائل الإعجاز": ٢٢٤.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾، ﴿رَبَّنَا بَعِّدْ﴾[1]

تتشكّل البنية من جملة خبرية فعلية، ثم جملة طلبية نداء، ثم جملة طلبية أمر، ثم جملة خبرية فعلية، ويُفسَّر هذا بلاغيًا بأن قوله ﴿فَقَالُوا﴾ حكاية لتذمرهم بالقول بعده، ثم يأتي النداء ﴿رَبَّنَا﴾ بحذف أداة النداء، دلالة على شعورهم بقرب المنادى سبحانه، ونسبة الربوبية إليه إقرارًا بتوحيد الربوبية من حيث الخلق والرزق والتصرف، مع اقتران ذلك بالتذمّر من النعمة، على نحو ما ورد في خطاب بني إسرائيل: ﴿يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾. وتدل صيغة النداء هنا على خروج عن مقتضى الظاهر إلى التوسل مع الاعتراض على النعمة، ومما هو مقرر في البلاغة إذا أتى النداء في سياق الدعاء فهو لحمل المخاطب على المطلوب بأن يوقع هذا المطلوب[2].

أما قراءتا ﴿بَاعِدْ﴾ و﴿بَعِّدْ﴾ فهما أمران يحملان دلالة الدعاء، ومناط الدعاء في الطلب الخضوع[3]، ويتضمنان طلب جعل الأسفار بعيدة، وقد خرج هذا الدعاء عن مقتضى الظاهر إلى دلالة التذمّر من حالة النعيم الميسّر الذي خلا من مشقة السفر، "فمن نصب ربنا جعله نداءً، فإن جاء بعده طلب كان ذلك أشرا منهم وبطرا"[4]، وتُسهم الدلالة الصوتية في تعزيز المعنى البلاغي، فالألف في ﴿بَاعِدْ﴾ تشير إلى امتداد المسافة المطلوبة، والتضعيف في ﴿بَعِّدْ﴾ يدل على قوة المطلوب في نفوسهم وشدة الشعور به.

السياق البلاغي الثاني:

(١) القراءة المعروفة ربَّنا باعِد بألفٍ وكسر العين وإسكان الدال، قراءة العشرة، وابن كثير، وهشام، وأهل البصرة، أما الحسن والجحدري ربَّنا نصب، بعِّد بفتح الباء، وتشديد العين وكسرها، من غير ألف وجزم، النوزاوازي، "المعني في القراءات"، ٤: ١٥١٣.

(٢) التفتازاني، "المطول"، ٢: ٤٣٣.

(٣) محمد الدسوقي، "حاشية الدسوقي على مختصر السعد شرح تلخيص المفتاح"، تحقيق خليل إبراهيم، (ط١، لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م) ٢: ٥٢١.

(٤)الأندلسي، "البحر المحيط"، ٨: ٥٣٨.

﴿فقالوا رَبُّنَا بَاعَدَ﴾، ﴿رَبُّنَا بَعَّدَ﴾[١]

تأتي القراءة هنا في صورة جملة إسنادية خبرية اسمية تتكوّن من مبتدأ وخبرها جملة فعلية، "ومن رفع (ربنا) فلا يكون الفعل إلا ماضيا، وهي جملة خبرية فيها شكوى بعضهم إلى بعض مما حل بهم من بُعْدِ الأسفار"، فالإخبار في القراءة الثانية ليست للدلالة على فائدة الخبر ولا لازم الخبر، وإنما خرج إلى مقتضى آخر، ألا وهو الدلالة على الشكوى والتذمر، والدليل على ذلك ما جاء في نهاية سياق الآية الكريمة، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ فالصبر على المصيبة دلالة الإيمان والشكوى عكسها.

ويتصل التفسير البلاغي بمفهوم المسند والمسند إليه، حيث ذُكر المسند إليه ﴿رَبُّنَا﴾ مع حضوره المتكرر في سياق القصة منذ الآية (١٥)؛ لإبراز معنى الربوبية والاعتراف بالمنعم المتصرف، ويكشف هذا الأسلوب عن التشكي الذي يفهم من السياق، إذ إن المقصود من الإخبار هو الشكوى والتذمّر والاعتراض، ويعزّز هذا الغرض مجيء المسند في الجملة الاسمية الخبرية في صورة فعل ماضٍ، خرج عن مقتضى الظاهر إلى المبالغة في الشكوى، بما تحمله ألف ﴿بَاعَدَ﴾ وتضعيف ﴿بَعَّدَ﴾ من دلالات صوتية ومعنوية.

وفي هذه القراءة المسند إليه (ربُّنا) وهو المبتدأ، والمسند (باعد) أو (بعد) وهو فعل ماض، وقد ذُكِر المسند إليه من أجل الحيطة حتى تُسَدّ كلُّ ثغرة على كل متأول فيهم،

(١) السلمي عن زيد، وابن شاذان عن الضرير، كلاهما عن يعقوب، والوليد بن مسلم عن ابن عامر، (ربُّنا بّعَّد) بالفتحات مع تشديد العين، وهي قراءة ابن عباس ومحمد ابن الحنفية، وأبو رجاء (ربُّنا) برفع الباء باعد بألف وفتح العين والدال، "المغني في القراءات"، ٤: ١٥١٣، (ربُّنا باعَدَ) خبر أبو حيوة وبصري غير أبي عمرو وأيوب الزعفراني، والجحدري، والحسن، والباقون على الدعاء، وهو الاختيار لقوله "وظلموا أنفسهم"، الكامل في القراءات الخمسين، ٦: ١١٣.

لئلا يُفهم أن مصدر الشكوى والتذمر ليسا من الله، بل كانوا يتذمرون ويشتكون من الله كفرا والعياذ بالله، وإما لزيادة الإيضاح والتقرير مِن قِبَلِ آل سبأ، ولتأكيد اختصاصه سبحانه بالتبعيد، ولذلك كفروا.

رابعا: الوظائف البلاغية لتنوّع القراءات في سياق الاعتراض والتذمّر

يُنتج تنوّع القراءات في قوله تعالى:﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ شبكةً من الوظائف البلاغية المتداخلة، تتجاوز مجرّد الاختلاف الصوتي أو الصرفي أو التركيبي إلى بناء دلالة مركّبة تكشف عمق الإعراض والتذمّر داخل السياق القرآني.

١- وظيفة كشف البنية النفسية للتذمّر: يسهم تنوّع القراءة بين الدعاء والإخبار في إظهار التذمّر بوصفه حالة نفسية داخلية: ففي قراءة الأمر (باعِد / بعِّد) يتجلّى التذمّر بوصفه رغبة واعية في نقض حالة النعمة، وفي قراءة الخبر (باعَد / بعَّد) يظهر التذمّر في صورة شكوى بعضهم لبعض مما حدث لهم، وهنا تتكامل القراءة مع السياق في كشف انتقالهم من عدم الشكر إلى الاعتراض على التوحيد والعبادة والشكر.

٢- وظيفة اتساع مفهوم التذمّر من الضمني إلى الصريح: فالقراءة الخبرية تُوحي بتذمّر غير مباشر، أقرب إلى الشكوى النفسية، أما القراءة الطلبية (الأمر/الدعاء) تنقل التذمّر إلى حيّز الفعل والطلب، فيتحوّل من إحساس داخلي إلى موقف لغوي صريح، وهذا التصعيد يتناغم مع البناء القصصي في السورة؛ مع قوله أولا ﴿فأعرضوا﴾ ثم ﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا﴾.

٣- وظيفة تعميق المفارقة البلاغية بين النعمة والتذمّر: تكشف القراءات المتنوعة عن مفارقة بلاغية بين نعمة القرب، والأمن، وسهولة السير تقابلها رغبة في البُعد، والمشقة، وطول الأسفار، فالألف في (باعِد / باعَد) والتضعيف في (بعِّد / بعَّد) تؤدّيان وظيفة بلاغية في تعميق المفارقة بين ما أُعطوه وما طلبوه.

٤- وظيفة تحميل الذات مسؤولية الهلاك: يؤدي تنوّع القراءات دورًا مهمًا في تهيئة الجملة اللاحقة، ﴿وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾، فالقراءات، على اختلافها، تؤول جميعًا إلى نتيجة واحدة: أن التذمّر – دعاءً كان أو شكوى – فعل ظلمٍ للنفس، وبذلك يصبح تنوّع القراءة أداة بلاغية توظف لتبرير الحكم التالي للجملة وهو ظلم النفس.

٥- وظيفة الانسجام بين التحولات السياقية: تُسهم القراءات في تحقيق الانسجام الدلالي من خلال الفاء العاطفة ذات الدلالة السببية، فالفاء في القراءتين تكشف عن تحوّلٍ سببيّ؛ إذ صارت النعمة نفسها باعثًا على التذمّر، وبذلك يتحقق التماسك بين التحولات السياقية لأداء الرسالة في الخطاب القرآني.

٦- وظيفة خدمة النسق العام لسورة سبأ: يأتي تنوّع القراءات في هذا الموضع منسجمًا مع النسق الموضوعي للسورة، القائمة على: إبراز الفرق بين شكر المنعم وكفر النعمة، والمقارنة بين نموذجَي داود وسليمان (الشكر) وقوم سبأ (التذمّر).

الفصل الثالث: سياق العاقبة

أولًا: السياق غير اللغوي / الخارجي

يتجه سياق القصة الخارجي نحو القوم ونحو المخاطَب معًا، ولذلك فإن العاقبة بلاغيًا في هذه القصة تتوزع في اتجاهين: اتجاهٍ نحو قوم سبأ بالعقوبة ومضامينها، واتجاهٍ نحو المخاطَب بالتذكير والعظة والوعيد؛ لبناء خطاب توجيهي يتداخل فيه العقوبة بالعبرة.

في الآية رقم (١٦) تظهر العقوبة التي حلّت بسبأ بعد كلمة الإعراض، وهي السبب المباشر فيما حلّ بهم بعد ذلك، فجاءت العقوبة من جنس النعمة؛ إذ كانت نعمتهم قائمة على السد والثمار والبساتين، فهدم الله عليهم السد، وأذاقهم القحط، واستُبدلت جناتهم وبساتينهم بشجر لا ثمر له، وبشجر له ثمر طعمه مر، وبشجر ثمره جيد لكنه قليل جدًا[١]، فقد أُرسل عليهم سيل العرم، والعرِم – بكسر الراء – أو العَرْم – بفتحها – قراءتان تدلان على السد، أو على السيل نفسه[٢]، أو على الجرذ الذي أمره الله بثقب أسفل السد فأغرقهم[٣]، وقيل إن العرم صفة بمعنى غزير، من باب إضافة الاسم إلى صفته أي: سيل غزير أرسله الله إلى قوم سبأ[٤]، أو هو وادٍ تجتمع فيه السيول إذا أمطرت اليمن، ويرى الطبري أن الله أرسل عليهم دابة، فسال الماء من الوادي والسد، وذهب إلى مواضع غير تلك التي كانوا ينتفعون بها، أو أُسيل على جناتهم وأرضهم، ففسد عمرانهم ونعيمهم[٥].

وجعل الله مكان بساتينهم من الفواكه والثمار بساتين من جنى ثمر الأراك، وهو

(١)السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ٤: ١٨٤.
(٢) الشوكاني، "فتح القدير"، ٦: ٤٥٥.
(٣)السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ٤: ١٨٤.
(٤) ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٣: ٤٨٧.
(٥) الطبري، "جامع البيان"، ٢٢: ٧٩-٨٠.

الخمط، والأثل وهو الطرفاء أو السَّمُر، وجعل مكان الفاكهة شيئًا من سدرٍ قليل[١].

فالتبديل إشارة إلى الانتقال من وفرة النعمة إلى شحّ العطاء.

وفي الآية التالية رقم (١٧) يتجه الخطاب في ظاهره إلى قوم سبأ، غير أن دلالته تتجاوزهم إلى توجيهٍ وعظي عام للناس كافة، حتى يتعظوا، إذ يقرر مبدأ الجزاء من جنس العمل.

فقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا﴾ أي جزيناهم ذلك الجزاء المذكور في الآية السابقة بسبب كفرهم، ثم يأتي الاستفهام الإنكاري في قوله: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ بمعنى أن جزاء الله بالعقوبة إنما يكون للكافر، أما المؤمن فإن الله يتوب عليه إذا آمن وتاب، والمجازاة المكافأة[٢]، يقول ابن عثيمين: "يعني ما نجازي بالعقوبات إلا من كفر بالله سواء كان كفر نعمة فيجازى على قدر ذنبه، أو كفر مخرج عن الملة"[٣].

وسياق العاقبة في هذه الآية تحمل مستويين: دلالة عامة للناس كافة، مفادها أن من فعل مثل فعل سبأ ناله مثل جزائهم، ودلالة خاصة بقوم سبأ، حيث تمثلت العاقبة في العقوبة التي نزلت بهم، وما سيتبعها من عقوبات في الآيات اللاحقة.

وفي الآية رقم (١٩) يستمر خطاب العاقبة، غير أنه ينتقل إلى مستوى آخر، فإذا كان سياق النعمة قد شمل مسكنهم وسفرهم، فإن سياق العقوبة نالهم في مسكنهم وسفرهم، فجعلهم الله أحاديث، ويرى الطبري أن "الله صيّرهم أحاديث للناس، يضربون بهم المثل في السب"[٤]. وتظهر العاقبة هنا عقوبة واقعة على سبأ، وفي الوقت نفسه تعد عاقبة تذكيرية وعظية لمن سمع عنهم من العرب أو سيَسمع، ثم جاء قوله: ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ

(١) المرجع السابق، ٨١.

(٢) المرجع السابق، ٨٢.

(٣) ابن عثيمين، "التفسير الثمين"، ١٠: ٣٣٢.

(٤) الطبري، "جامع البيان"، ٢٢: ٨٦.

كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي فرّقهم الله في الأرض، يقول الطبري عن الشعبي: "أما غسان فلحقوا بالشام، وأما الأنصار – الأوس والخزرج – فلحقوا بيثرب، وأما خزاعة فلحقوا بتهامة، وأما الأزد فلحقوا بعُمان"(١).

ويُختم سياق هذه الآية بعاقبة التذكير والوعظ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أي أن تمزيقهم عبرة ودلالة على ما يجب أن يفعله العبد تجاه نعم الله؛ فإن أُعطي شكر، وإن ابتُلي صبر، فالعبرة هنا مشروطة بوعي المخاطَب واعتباره بما حدث.

ويُختَم سياق العاقبة بمضمون القصة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي صدق ظن إبليس فيهم حين اتبعوه، وهم قوم سبأ، أو بمعنى صدق عليهم ظنه، والمعنى أن ما توقعه الشيطان وظنه من إغواء الكفار – ومنهم سبأ – قد وقع وتحقق(٢) حينما ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ سورة ص [٨٢]، فكانت العاقبة هنا خطابية إلى الناس حتى لا يقعوا فيما وقعت فيه سبأ من الإعراض واتباع خطوات الشيطان.

ثانيًا: توصيف السياق اللغوي وعلاقات السبك

– في الآية رقم (١٦)

يبدأ سياق العاقبة في الآية رقم (١٦) بحرف العطف الفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾، وهي فاء التعقيب السببي، إذ ربطت العقوبة مباشرةً بالإعراض، فجاءت العاقبة نتيجةً سببية لما قبلها، ومن هنا يأتي التحول إلى سياق العقوبة، وقد بُنيت الجملة بالإسناد الخبري الفعلي باستخدام الفعل الماضي، وهو ما يدل على تحقق وقوع العقوبة، ويؤكد تسلسل السياقات والأحداث في القصة.

(١) الطبري، "جامع البيان"، ٢٢: ٨٦.

(٢) ابن عثيمين، "التفسير الثمين"، ١: ٣٤١.

ويُلاحظ أن الله سبحانه استخدم ضمير المتكلم (نا الفاعلين) الدال على التعظيم في السياقات الثلاث، في مقابل ضمير الجمع الغائب العائد إلى قوم سبأ، وهو استعمال بلاغي يفيد تعظيم المتكلم سبحانه، ويُقابل ضمير الجمع العائد إلى المخاطَبين ضمير المتكلمين العائد إلى الذات الإلهية سبحانه العظيم، بما ينسجم مع مقام العقوبة والقدرة.

ثم تأتي جملة أخرى معطوفة بحرف الواو للربط بين سياقات العاقبة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾، وبينهما مشاركة في الحكم الإعرابي وفي مضمون العقوبة، ويلاحظ أن بناء الجملة قائم كذلك على الفعل الماضي، دلالةً على تحقق وقوع فعل التبديل. وقد تعدّى الفعل إلى مفعولين: الأول ضمير الغائب العائد إلى قوم سبأ، والثاني (جنتين). ومعنى التبديل استبدال شيء بشيء، والمقصود هنا استبدال جنتين من النعيم بجنتين من العقوبة، وهو انتقال دلالي وواقعي من الوفرة إلى الحرمان، "سمى هذا المعوّضُ جنتين على سبيل المقابلة؛ لأن ما كان فيه خمط وأثل وسدر لا يسمى جنة"(١).

ويستمر سياق العقوبة في الآية نفسها باستخدام تعاقب الصفات ثلاث مرات لبيان صفات بساتين العقوبة؛ فالصفة الأولى في قوله: ﴿ذَوَاتَيْ﴾: وهي صفة للجنتين المستبدلتين، ثم جاءت الصفة الثانية في قوله: ﴿خَمْطٍ﴾: وهي صفة للأكل، (ومن سدر): وهي صفة لشيء، و(قليل): وهي صفة لسدر(٢)، كما جاء في تتمة الآية بربط حرف العطف الواو للمشاركة بين مكونات الجنتين بعد العقوبة، مع استخدام الربط المعجمي.

فالجنتان بعد العقوبة تتكوّنان من: أُكُل خَمْط: وهو شجر الأراك، وأَثْل: وهو

(١)الأندلسي، "البحر المحيط"، ٨: ٥٣٦.

(٢) محيي الدين الدرويش، "إعراب القرآن الكريم". (ط١٧، دمشق: دار ابن كثير، ١٩٩٩م) ٦: ٢٢٨.

شجر من شجر الصحراء لا ثمر له، وسِدْر: وهو الوحيد الذي له ثمر، لكنه قليل[١]، وذلك إمعانًا في تصوير العقوبة، وهكذا تتضافر دلالة السياق اللغوي مع الحقل الدلالي المعجمي للنبات، لتؤكد دلالة العاقبة من جهة العقوبة الواقعة في فضاء مسكنهم الدلالي.

ثم تأتي الآية (١٧) لتنتقل من سياق القصة إلى سياق التذكير والاعتبار، فبعد عرض ما حدث لقوم سبأ في مسكنهم، يُنجز الخطاب القرآني العاقبة بالتذكير، فيقول المولى سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾، وقد بُنيت الجملة بالإسناد الفعلي الخبري، وتكوّنت من فعل وفاعل ومفعولين، غير أن المفعول به الثاني (ذلك) قُدّم على بقية الجملة، وهو تقديم بلاغي لغرض إبراز المعنى المركزي للعقوبة، وقد أقر عبد القاهر الجرجاني تقديم المفعول من العناية بالموضوع مع إضافة معان تناسب السياق الذي ورد فيه التقديم[٢]، والبلاغيون يرون أن التقديم لازمٌ للتخصيص غالبا[٣]، وذكروا أن تقديم المفعول المتعلق على فعله من أجل التخصيص[٤]، وجعل ابن عاشور "تقديم (ذلك) على عامله للاهتمام بشدة ذلك الجزاء واستحضاره باسم الإشارة من عظمة هوله"[٥]، فاسم الإشارة يعود إلى تبديل جنتيهم عقوبةً بجنتين، أي: جزيناهم ذلك الجزاء بالتبديل. وجاءت الباء في قوله: ﴿بِمَا كَفَرُوا﴾ للسببية، و(ما) مصدرية، أي بسبب كفرهم[٦].

ويأتي قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ ليؤكد معنى العاقبة في سياق الخطاب التذكيري، فالجزاء هنا بمعنى العقوبة أو المكافأة، و(هل) بمعنى (ما) النافية به، ولم يُرَدْ

(١) السعدي، "تيسير العزيز الرحمن"، ٤: ١٨٤.

(٢)الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، ١٠٧.

(٣) التفتازاني، "ألمطول"، ٣٥٧.

(٤) شمس الدين الكرماني، "تحقيق الفوائد الغياثية"، تحقيق د. علي العوفي، (ط١، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٤هـ)، ١: ٤٢١.

(٥) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢٢: ٤٠.

(٦) ينظر: ابن عثيمين، " التفسير الثمين"، ١٠: ٣٣٦.

بالاستفهام السؤال عن مجهول، وإنما أريد به النفي بأسلوب أبلغ[١]، أي: لا نجازي إلا الكفور، وقد عُدِل عن أسلوب النفي الصريح إلى الاستفهام لقوة التأثير، إذ يدعو المخاطَب إلى التفكير قبل الجواب، فإذا أجاب بالنفي لا يعاقب غير الكفور، صار مقرا بالحكم، فالاستفهام لتثبيت الحكم وأداة إقناع، وذلك لأن الاستفهام استنكاريا في معنى النفي ودل على ذلك الاستثناء[٢].

ثم تعود التحولات السياقية في الآية (١٩)، حيث يُعاد النظام الأول نفسه: سياق نعمة، ثم سياق اعتراض وتمرد، ثم سياق عاقبة. فالآية السابقة (١٨) تتحدث عن النعمة، ثم يتحول السياق في بداية الآية (١٩) إلى التذمر، وفي الآية نفسها، وبعد انتهاء سياق التذمر، ينتقل السياق إلى العاقبة في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾، فجاء الربط بأداة العطف الفاء للتعقيب النسقي والسببي أيضا بعد التذمر.

وقد استُخدمت الجملة الإسنادية الفعلية الخبرية لتقرير واقع العاقبة، مع فعل (جعل) الدال على التصيير، إذ تعدّى إلى مفعولين: الأول ضمير (هم) العائد إلى قوم سبأ، والثاني (أحاديث)، ويلاحظ هنا استخدام إيجاز القصر؛ فعلى الرغم من أن الجملة تامة من حيث التركيب، فإن المعاني التي تحتملها كثيرة جدًا: ما الأحاديث؟ ومن المتحدثون؟ ولماذا تحدثوا؟ وما الحكمة من جعل قصتهم أحاديث؟ وهذا من إيجاز القصر الذي تكون فيه الألفاظ أقل من المعاني مع الوفاء بها، دون حذف ركن من أركان الجملة، وهو من أساليب البلاغة القرآنية.

ثم تتبعها جملة أخرى معطوفة بواو المشاركة في العقوبة، في قوله تعالى: ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾، ويستمر السياق اللغوي في الجملة الإسنادية الخبرية الفعلية، مع استخدام

(١) ينظر: عبدالفتاح لاشين، "المعاني في ضوء أساليب القرآن"، (ط٤: المكتبة الأموية، ١٩٨٣م)، ١٨٣.

(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢٢: ٤١.

الفعل الماضي للدلالة على تحقق وقوع التمزيق، وتم الوصل بين وجعلناهم أحاديث ومزقناهم بواو العاطفة، لاتحاد النوع بين الجملتين لأنهما خبريتان فعليتان، ومسندتان إلى فاعل واحد وهو ضمير (نا) الدالة على التعظيم، واتحاد المقام، وهو مقام العقوبة، واتحاد الغرض فالأولى للهلاك المعنوي والثانية للهلاك المادي، لهذا جاء الوصل بين الجملتين.

تُختتم الآية (١٩) بنسق لغوي مختلف، إذ تأتي جملة خبرية اسمية في سياق العاقبة للعبرة، ولذلك استُخدم الفصل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾؛ فالجملة السابقة (ومزقناهم) تؤدي وظيفة تصوير العقوبة، بينما جاءت هذه الجملة لأداء وظيفة التعليل والاعتبار، فاستؤنفت دون واو، وافتُتحت بـ(إن) للتوكيد، مع تقديم شبه الجملة (في ذلك) لإبراز المعنى المركزي، إذ يعود اسم الإشارة إلى ما تقدّم من صور العقوبة في الحضر والسفر، وهذا من (شبه كمال الاتصال)، حيث تُفصل الجملة الثانية فصل الجواب عن السؤال[١] المقدّر: ما مراد الله بسياق العقوبة؟ فتكون الإجابة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ...﴾. ثم جاء قوله: ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ لتقرير ثنائية التعامل مع النعمة والمحنة، فالصبر للمحنة والشكر للنعمة، في طباق يرسّخ البعد الأخلاقي لخطاب قصة سبأ.

وتُختم القصة بما بدأت به لغويًا، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾، حيث جاءت الواو عاطفة على ما سبق من أحداث القصة، واللام للتوكيد، مع تقدير القسم، وقد للتحقيق، وقد ورد في (صدق) قراءتان: بالتشديد وبالتخفيف، وكلتاهما جملة خبرية فعلية بالماضي تدل على تحقق وقوع الظن، والضمير في (عليهم) يعود إلى قوم سبأ، وجاء الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ استثناءً متصلًا، لأن المستثنى منه قوم سبأ، وحرف الجر (من) بيانية لا تبعيضية، كما يرى ابن عثيمين[٢]،

(١) التفتازاني، "المطول"، ٢: ٤٤٧.

(٢) ابن عثيمين، "التفسير الثمين"، ١٠: ٣٤٢.

وتدل الآية بلاغيًا على التذكير بعداوة الشيطان للإنسان، وعلى بيان حال العاقبة بالوعظ والتذكير العام.

ثالثا: دلالات تنوّع القراءات في سياق العاقبة.

﴿ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ و﴿ذَوَاتَيْ أُكْلٍ خَمْطٍ﴾[١] إن القراءتين تدلان على أن المأكول مرٌّ وبشعٌ، فيكون (خمط) صفة للمأكول، مع اختلاف لغوي في ضبط (أُكُل) و(أُكْل) دون اختلاف في الدلالة، أما قراءة ﴿ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ بالإضافة[٢]، فيُراد بالخمط شجر الأراك، ويكون الأُكُلُ ثمره، فيتجه المعنى إلى تعيين نوع النبات لا مجرد وصف طعمه، مع اتفاق القراءات جميعها على تصوير انقلاب النعمة إلى عقوبة، ويكون لتنوع القراءات دلالة بلاغية في التنفير والتقبيح وإحداث أثر الخوف من العاقبة من كل وجه.

وكذلك في قوله: ﴿وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ بالكسر[٣]، حيث تكون الواو عاطفة على (أُكُلٍ)، فيتحقق التعداد البياني لأصناف النبات العقابي، أما قراءة النصب ﴿وَأَثْلًا وَشَيْئًا مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾[٤]، فتكون الواو عاطفة على (جنتين)، فيتحول التركيز

(١) القراءة المعروفة بتخفيف الهمز وضم الكاف، حمزة، والأعمش، والبرجمي، وقتيبة: يسكنون سكتة لطيفة، مدني بإسكان الكاف أكْل، باقي القراء بالتنوين –أي تنوين اللام– مع اختلاف أصولهم، "المغني في القراءات العشر"، ٤: ١٥١١.

(٢) بصريٌّ، غير أيوب، وطلحة، وأبو حيوة (أُكُلِ خمط) غير تنوين على الإضافة، المغني في القراءات العشر، م١٥١١/٤، مضاف بصري، غير أيوب، وأبو طلحة، وأبو حيوة، ليضاف الأكل إلى الخمط دون أن يجعل أحدهما الاخر، "الكامل في القراءات الخمسين"، ٦: ١١١، ينظر: محمد بن الجزري، "النشر في القراءات العشر". تحقيق السالم الشنقيطي، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٣٥هـ)، ٥: ١٨٦٣.

(٣) القراءة المعروفة مجروران، "المغني في القراءات العشر"، ٤: ١٥١٢. ينظر: "النشر في القراءات العشر"، ٥: ١٨٦٣.

(٤) الفضل بن إبراهيم النحوي منصوبان منونان، "المغني في القراءات العشر"، ٤: ١٥١٢.

من التعداد الوصفي إلى إبراز فعل الاستبدال نفسه، فيتكامل المعنيان في تصوير انقلاب النعمة إلى نقمة.

ويظهر هذا التكامل أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ و﴿وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورُ﴾[1] ؛ فقراءة البناء للمعلوم تُبرز شدة العقوبة وهيبة المجازي سبحانه، وتقوم بوظيفة التهديد والإنذار، بينما قراءة البناء للمجهول تُبرز مسؤولية الكافر عن مصيره، وتقوم بوظيفة التقرير والعدل، في اتساع دلالي منسجم لا تعارض فيه.

وكذلك تتكامل قراءتا: ﴿صَدَّقَ عليهم إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ و﴿صَدَقَ عليهم إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾[2]، وتفيد القراءتان بالتخفيف والتشديد معنيين متكاملين هما الصِّدق والتَّصديق؛ فـ﴿صَدَقَ﴾ بالتخفيف يدل على صدق إبليس في إخباره، بينما ﴿صَدَّقَ﴾ بالتشديد يدل على تصديق الواقع لذلك الإخبار، وبذلك تحمل القراءتان دلالة واحدة من جهتين مختلفتين: صدقُ الظن من جهة الإخبار، وتصديقُه من جهة الوقوع حين تحقق الاتباع فعلاً[3].

---

(١) كوفيٌّ غير أبي بكر، وأبان، ويعقوب، وابن مقسم، والزعفراني، بالنون وكسر الزاي، الكفور نصب، "المغني في القراءات العشر"، ٤: ١٥١٢، وكذلك في: "الكامل في القراءات الخمسين"، ٦: ١١٢، وأضاف: الباقون بالياء وضمها وفتح الجيم والزاي (الكفورُ) رفع. "فقرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب وحفص بالنون مع كسر الزاي، الكفورَ بالنصب، ... وقرأ الباقون بالياء وفتح الزاي، ورفع الكفورُ" كذا في: "النشر في القراءات العشر"، ٥: ١٨٦٣.

(٢) القراءة المعروفة (صدَق) بتخفيف الدال، إبليسُ رفع، ظنَّه نصب، كوفي وابن عبدالخالق والضرير عن يعقوب: كذلك إلا أنه بتشديد الدال، "المغني في القراءات العشر"، ٤: ١٥١١، صدَّق مشدد كوفي والباقون خفيف، كذا في: "الكامل في القراءات الخمسين"، ٦: ١١٣، ينظر: النشر في القراءات العشر، ٥: ١٨٦٣.

(٣) ابن عثيمين، "التفسير الثمين"، ١٠: ٣٤١.

القراءة الأولى ﴿صَدَقَ﴾ بالتخفيف:

ترتبط قراءة ﴿صَدَقَ﴾ بالسياق اللغوي من حيث إسناد الفعل إلى إبليس بوصفه مُخبِرًا عن ظنه، فجاء قوله: ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ تعقيبًا يبيّن صدق الإخبار، وأفادت الفاء ارتباط الاتباع بمضمون الظن من جهة التعقيب التتابعي للأفعال، ويؤكد هذا المعنى في السياق الخارجي لقصة سبأ بدلالة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ العائدة على القوم بعد إعراضهم عن الشكر، فكان صدق الظن قائمًا على استعدادهم الفطري لاتباعه، وليس على أن لإبليس سلطانا وقدرة عليهم والدليل اللغوي على ذلك هو الاستثناء في قوله تعالى: إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الذين لم يدخلوا في مضمون هذا الإخبار، فانتقض العموم وبقيت المصداقية في حدود المتبعين لإبليس.

القراءة الثانية ﴿صَدَّقَ﴾ بالتشديد:

أما قراءة ﴿صَدَّقَ﴾ فتتصل بالسياق اللغوي من جهة تحويل الإسناد إلى تحقق المضمون، فجاء قوله: ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ شاهدًا لغويًا على تصديق الواقع للظن، ثم قُيِّد هذا التصديق بالاستثناء: ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ليدل على أن التصديق كان محدودا، وفي السياق الخارجي لقصة سبأ ينسجم ذلك مع خطاب التذكير والذي يقرر أن سلطان إبليس لا يعمل إلا على من لديه قابلية، مع بقاء المؤمن خارج هذا النسق.

وبهذا تنتظم الآية في بناء بلاغي قائم على التوكيد والتعليل والاحتراس؛ فافتتاحها بـ﴿وَلَقَدْ﴾ يجمع بين القسم المحذوف ولام التوكيد لتحقيق تقوية الخبر وتقريره، وجاء الفعل ﴿صَدَقَ / صَدَّقَ﴾ بتعدّد القراءات على سبيل التنوع في القراءة وتوسيع الخطاب، جامعًا بين الإسناد القولي والإسناد التحقيقي، وأفادت الفاء في قوله: ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ الارتباط الفعلي بين الظن الاتباع في القراءة الأولى، والفاء التعليلية في القراءة الثانية، فجعلت الاتباع معلَّلًا بصدق الظن، ثم جاء أسلوب الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ على جهة الاحتراس ورفع توهّم العموم، وبذلك

يكتمل النسق البلاغي للآيات في تقرير سنّة إغواء إبليس للبشر، مع إبراز أثر الإيمان في دفع هذا الإغواء وكسر سلطانه، بما يؤكد أن البلاغة القرآنية تتجه إلى توجيه الخطاب نحو التحذير من الضلالة والكفر، والتنبيه إلى خطر إبليس وظنّه، وترسيخ وعي الاختيار والمسؤولية لدى الإنسان

رابعًا: الوظائف البلاغية لتنوّع القراءات في سياق العاقبة

١- وظيفة التوسيع الدلالي للعقوبة:

يُسهم تنوّع القراءات في نقل صورة العاقبة من دلالة واحدة إلى دائرة أوسع من المعاني، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ بقراءة التنوين، و﴿ذَوَاتَيْ أُكُلِ خَمْطٍ﴾ بقراءة الإضافة؛ إذ تُبرز القراءتان وصف العقوبة الحسية بمرارة طعم المأكول، أو المعنوية الدالة على الحرمان، وبذلك العاقبة تشمل فعل الاستبدال وأثره.

٢- وظيفة التنويع بين الإجمال والتفصيل:

تجلّى هذا الأثر في تنوّع القراءات في قوله تعالى: ﴿وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ بالجر، ﴿وَأَثْلًا وَشَيْئًا مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ بالنصب؛ حيث تميل قراءة الجر إلى التفصيل الوصفي بتعداد عناصر النبات العقابي، فتُجزّئ صورة العاقبة وتُبرز مظاهرها المتعددة، في حين تميل قراءة النصب إلى الإجمال والتكثيف، بجعل هذه العناصر داخلة في بنية الاستبدال نفسها، وبهذا التنويع يُراعي الخطاب القرآني اختلاف طرائق التلقي.

٣- وظيفة توزيع المسؤولية بين الفاعل والمفعول:

يظهر هذا بجلاء في تنوّع القراءات في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ و﴿وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورُ﴾؛ إذ تُبرز قراءة البناء للمعلوم جهة الفاعل وتُظهر هيبة المُجَازِي سبحانه بإسناد الفعل إليه مباشرة، بينما تُبرز قراءة البناء للمجهول جهة المفعول، فتُحمّل الكفور مسؤولية فعله.

٤- وظيفة الانتقال من القصة إلى العبرة والخطاب:

يسهم تنوّع القراءات في نقل الخطاب من مستوى السرد القصصي لما وقع لقوم سبأ إلى مستوى التذكير العام والتحذير من كفران النعمة، كما يتضح من اتصال سياق العاقبة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾، حيث تُحيل القراءات المتعددة في سياق العقوبة إلى معنى كلي يتجاوز خصوصية قوم سبأ، وبهذا تتحول العاقبة من واقعة تاريخية محددة إلى رسالة موجَّهة.

٥- وظيفة التأثير النفسي والتخويف:

يؤدي التنوع وظيفة نفسية واضحة، إذ يُعمّق الشعور بالتقبيح والتنفير من مآل الكفر، كما في اختلاف القراءات في وصف المأكول والنبات، وفي طريقة إسناد العقوبة، فمرة يُصوَّر الحرمان في طعم الغذاء، ومرة في طبيعة النبات، ومرة في شمول فعل الاستبدال، فيعظم الأثر التخويفي في نفس المتلقي.

٦- وظيفة الكشف عن المسار السببي للعاقبة:

يتجلّى هذا في تنوّع القراءات في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ و﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾؛ حيث تُبرز قراءة التشديد المسار السببي الممتد من الظن إلى الإغواء ثم الاتباع، بينما تُبرز قراءة التخفيف النتيجة النهائية لهذا المسار من غير نظر إلى تفصيل مراحله، وبذلك تُقدَّم العاقبة بوصفها ثمرة سلوك متراكم واختيار بشري يتحمل مسؤوليته.

الخاتمة:

تُلخّص الدراسة في النتائج الآتية:

١- أن تنوع القراءات تنوع أدائي منضبط، تحكمه الدلالة ورسالة الخطاب القرآني.

٢- يُعدُّ السياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي ضابطا منهجيا لتوجيه تنوّع القراءات بلاغيا.

٣- بين التحليل أن البناء السياقي لقصة سبأ قائم على نسق تكراري منتظم (نعمة- إعراض- عاقبة)، أعيد في فضائي السكن والسفر، بما يؤكد توجّه الخطاب القرآني للقصة إلى التذكير والإرشاد والتحذير.

٤- أظهرت الدراسة وظائف تنوع القراءات البلاغية في الفضاء الدلالي داخل السياقات الخارجية واللغوية للنعمة، من أبرزها: توسيع الدلالة، والتدرج من الوصف إلى التكليف، والتكامل مع النسق العام، والإيضاح بعد الإجمال، والانسجام النصي.

٥- تكشف الدراسة أن تنوع القراءات في سياق الإعراض والتذمر ينتج وظائف بلاغية، من أبرزها: توصيف البنية النفسية، بين الدعاء والإخبار بالشكوى، مع تأكيد مسؤولية الذات مسؤولية الهلاك، وتعميق المفارقة بين النعمة والتذمر، ووظيفة الاتساق النصي والربط بين التحولات السياقية، والانسجام الدلالي مع النسق الموضوعي العام لسورة سبأ.

٦- أسهم تنوع القراءات في سياق العاقبة في بناء صورة مركبة للعقوبة تجمع بين التحذير والتقرير، والتنويع بين الإجمال والتفصيل، وتوزيع المسؤولية بين الفاعل سبحانه والمفعول به، ووظيفة الانتقال من القصة إلى العبرة والخطاب، ووظيفة

التأثر النفسي والتخويف، والكشف عن المسار السببي للعاقبة.

٧- وجود علاقة بلاغية وظيفية بين تنوع القراءات والتحولات السياقية في القصة، بوصفه عنصرا من عناصر بناء المعنى، متضافرا مع اختلاف الأداء في النطق.

٨- أن تنوع القراءات يتشكل في بنيته من اختلافات صوتية وصرفية وتركيبية ونحوية، ويترك أثرا بلاغيا في السياق بسبب التفاعل بين المستويات داخل النسق.

المراجع:

أبو حيان الأندلسي، "البحر المحيط". تحقيق صدقي محمد جميل، (مصر: دار الفكر للطباعة والنشر، ٢٠١٠م).

إبراهيم الزجاج، "معاني القرآن". علق عليه: أحمد فتحي، (ط١، لبنان: دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠٠٧م).

ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ط١، لبنان: مؤسسة التاريخ) ٢٢: ٣٤-٣٦.

ابن هشام الأنصاري، "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب". تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، (مصر: مطبعة المدني، د.ت)

أبو هلال العسكري، "الصناعتين". تحقيق محمد البجاوي، (لبنان: المكتبة العصرية، لبنان،١٤١٩هـ).

أحمد البنا، "إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر" تحقيق شعبان إسماعيل (ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٧م).

أحمد بن فارس، "مقاييس اللغة". تحقيق عبدالسلام هارون، (بيروت: دار الجيل).

أحمد مطلوب، "معجم المصطلحات البلاغية". (ط٢، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٧م): ٦٤٢.

إسماعيل بن كثير، "تفسير القرآن العظيم". (ط١، لبنان: المكتبة العلمية، ١٩٩٤م).

جمال الدين ابن منظور، "لسان العرب". (مصر: دار المعارف، طبعة بولاق، ١٣٠٠هـ) ٣: ٢١٥٤.

سعد الدين التفتازاني، "المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم". تحقيق عبدالحميد الهنداوي، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م).

شمس الدين الكرماني، "تحقيق الفوائد الغياثية"، تحقيق د. علي العوفي، (ط١، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٤هـ).

عبد الرحمن السعدي، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان"، (جدة: دار المدني).

عبد المتعال الصعيدي، "بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة". (ط١٧، مصر: مكتبة الآداب،٢٠٠٥م).

عبدالحكيم القاسم، "دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير". (ط١، الرياض: دار التدمرية، ٢٠١٢م).

عبد الفتاح لاشين، "المعاني في ضوء أساليب القرآن"، (ط٤: المكتبة الأموية، ١٩٨٣م).

عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز". تحقيق محمود شاكر، (ط٣، جدة: دار المدني، ١٩٩٢م).

عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، "تأويل مشكل القرآن". تحقيق السيد أحمد صقر، (ط٢، القاهرة: دار التراث، ١٩٧٣م).

عودة خليل عودة، "التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم". (ط١، الأردن: مكتبة المنار، ١٩٨٥م)

محمد ابن الجزري، "منجد المقرئين ومرشد الطالبين". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)

محمد ابن عثيمين، "التفسير الثمين للعلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى"، اعتنى به أشرف كمال، (ط١، القاهرة: مكتبة الطبري، ٢٠٠٩م)..

محمد أحمد أبو الفرج، "المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث". (ط١، مصر: دار النهضة، ١٩٦٦م).

محمد الدسوقي، "حاشية الدسوقي على مختصر السعد شرح تلخيص المفتاح"، تحقيق خليل إبراهيم، (ط١، لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م)..

محمد الزبيدي، "تاج العروس"، تحقيق مصطفى حجازي، (مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٩م).

محمد الزركشي، "البرهان في علوم لقرآن". تحقيق يوسف المرعشلي وآخرون، (ط١، لبنان: دار المعرفة، ١٩٩٠م)

محمد الشوكاني، "فتح القدير". تحقيق سعيد اللحام، (لبنان: دار الفكر، ١٩٩٣م)..

محمد القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن". تحقيق عبد الله التركي، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة: ٢٠٠٦م).

محمد القزويني، "التلخيص في علوم البلاغة". ضبطه: عبد الرحمن البرقوقي، (دار الفكر العربي، ١٩٠٤م).

محمد النوزاوازي، "المغني في القراءات". تحقيق محمود الشنقيطي، (ط١، السعودية: الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، ٢٠١٨م).

محمد بن إسماعيل البخاري، "صحيح البخاري"، كتاب فضائل القرآن، حديث رقم (٤٩٩١)، (ط١، بيروت: دار ابن كثير، ٢٠٠٢م).

محمد بن الجزري، "النشر في القراءات العشر". تحقيق السالم الشنقيطي، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٣٥هـ).

محمد بن جرير الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". (ط٣، مصر: مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، ١٩٦٨م،).

محيي الدين الدرويش، "إعراب القرآن الكريم". (ط١٧، دمشق: دار ابن كثير، ١٩٩٩م).

منير الدحام، "الشيخ ابن عثيمين (١٤٣٧-١٤٢١هـ) جهوده وآراؤه العلمية في علم البلاغة". (ط١، لبنان: دار ابن حزم، ٢٠١٣م).

يحيى بن زياد الفراء، "معاني القرآن"، تحقيق: محمد النجار، (الدار المصرية) ، ٣٥٨.

يوسف البسكري، "الكامل في القراءات الخمسين". تحقيق عمر حمدان وتغريد حمدان، (ط١، المدينة المنورة: ٢٠١٥م).

يوسف السكاكي، "مفتاح العلوم". ضبط: نعيم زرزور، (ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م).

أحمد سعد محمد، "التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية". (القاهرة: مكتبة الآداب).

عبد الرحيم عبد الرحمن، "المعالم البلاغية في توجيه القراءات القرآنية". المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات ٢٠، (٢٠٢٠).

مناء الغامدي، "القصدية التداولية في قصة قوم سبأ". مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط ٢، (٢٠٢٣م).

تغريد الخطيب، "اختلاف أحرف التنزيل في القصص القرآني: قصة سبأ أنموذجا". مجلة كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط ٤٠، (٢٠٢٢م).

الراغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن". (ط١، بيروت: دار القلم، ١٤١٢هـ).

Bibliography

Al-Andalusi, Abu Hayyan. Al-Bahr al-Muheet. Edited by Sidqi Muhammad Jamil. Cairo: Dar al-Fikr for Printing and Publishing, 2010.

Al-Zajjaj, Ibrahim. Ma‘ani al-Qur’an. Commented on by Ahmad Fathi. 1st ed. Lebanon: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyya, 2007.

Ibn Ashur. At-Tahrir wa at-Tanwir. 1st ed. Lebanon: Mu’assasat al-Tarikh, vol. 22, pp. 34–36.

Ibn Hisham al-Ansari. Mughni al-Labib ‘an Kutub al-A‘arib. Edited by Muhammad Muhyi al-Din ‘Abd al-Hamid. Cairo: Al-Madani Press, n.d.

Al-‘Askari, Abu Hilal. Al-Sina‘atayn. Edited by Muhammad al-Bajawi. Lebanon: Al-Maktaba al-‘Asriya, 1419 AH.

Al-Banna, Ahmad. Ithaf Fudala’ al-Bashar bil-Qira’at al-Arba‘a ‘Ashar. Edited by Sha‘ban Ismail. 1st ed. Beirut: ‘Alam al-Kutub, 1987.

Ibn Faris, Ahmad. Maqayis al-Lughah. Edited by ‘Abd al-Salam Harun. Beirut: Dar al-Jeel.

Matloub, Ahmad. Mu‘jam al-Mustalahat al-Balaghiyya. 2nd ed. Lebanon: Maktabat Lubnan Nashirun, 2007, p. 642.

Ibn Kathir, Isma‘il. Tafsir al-Qur’an al-‘Azim. 1st ed. Lebanon: Al-Maktaba al-‘Ilmiyya, 1994.

Ibn Manzur, Jamal al-Din. Lisan al-‘Arab. Cairo: Dar al-Ma‘arif, Bulaq edition, 1300 AH, vol. 3, p. 2154.

Al-Taftazani, Sa‘d al-Din. Al-Mutawwal: Sharh Talkhis Miftah al-‘Ulum. Edited by ‘Abd al-Hamid al-Hindawi. 1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyya, 2001.

Al-Karmani, Shams al-Din. Tahqiq al-Fawa’id al-Ghayathiyya. Edited by ‘Ali al-‘Awfi. 1st ed. Medina: Maktabat al-‘Ulum wa al-Hikam, 1424 AH.

Al-Sa‘di, ‘Abd al-Rahman. Taysir al-Karim al-Rahman fi Tafsir al-Kalam al-Mannan. Jeddah: Dar al-Madani.

Al-Sa‘idi, ‘Abd al-Muta‘al. Bughiyat al-Iydah li Talkhis al-Miftah fi ‘Ulum al-Balagha. 17th ed. Cairo: Maktabat al-Adab, 2005.

Al-Qasim, ‘Abd al-Hakim. Dalalat al-Siyaq al-Qur’ani wa Atharuh fi al-Tafsir. 1st ed. Riyadh: Dar al-Tadmuriyya, 2012.

Lashin, ‘Abd al-Fattah. Al-Ma‘ani fi Daw’ Asalib al-Qur’an. 4th ed. Damascus: Al-Maktaba al-Umawiyya, 1983.

Al-Jurjani, ‘Abd al-Qahir. Dala’il al-I‘jaz. Edited by Mahmud Shakir.

3rd ed. Jeddah: Dar al-Madani, 1992.

Ibn Qutaybah, ‘Abdullah ibn Muslim. Ta’wil Mushkil al-Qur’an. Edited by al-Sayyid Ahmad Saqr. 2nd ed. Cairo: Dar al-Turath, 1973.

‘Uda, ‘Awda Khalil. Al-Tatawwur al-Dilali Bayna Lughah al-Shi‘r al-Jahili wa Lughah al-Qur’an al-Karim. 1st ed. Jordan: Maktabat al-Manar, 1985.

Ibn al-Jazari, Muhammad. Munajjid al-Muqri’in wa Murshid al-Talibin. 1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyya, 1420 AH / 1999.

Ibn ‘Uthaymin, Muhammad. Al-Tafsir al-Thamin. Prepared by Ashraf Kamal. 1st ed. Cairo: Maktabat al-Tabari, 2009.

Abu al-Faraj, Muhammad Ahmad. Al-Ma‘ajim al-Lughawiyya fi Daw’ Dirasat ‘Ilm al-Lughah al-Hadith. 1st ed. Cairo: Dar al-Nahda, 1966.

Al-Dusuqi, Muhammad. Hashiyat al-Dusuqi ‘ala Mukhtasar al-Sa‘d Sharh Talkhis al-Miftah. Edited by Khalil Ibrahim. 1st ed. Lebanon: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyya, 2002.

Al-Zabidi, Muhammad. Taj al-‘Arus. Edited by Mustafa Hijazi. Kuwait: Government Printing Press, 1989.

Al-Zarkashi, Muhammad. Al-Burhan fi ‘Ulum al-Qur’an. Edited by Yusuf al-Mar‘ashli et al. 1st ed. Lebanon: Dar al-Ma‘rifa, 1990.

Al-Shawkani, Muhammad. Fath al-Qadir. Edited by Sa‘id al-Lahham. Lebanon: Dar al-Fikr, 1993.

Al-Qurtubi, Muhammad. Al-Jami‘ li Ahkam al-Qur’an. Edited by ‘Abdullah al-Turki. 1st ed. Beirut: Mu’assasat al-Risala, 2006.

Al-Qazwini, Muhammad. Al-Talkhis fi ‘Ulum al-Balagha. Edited by ‘Abd al-Rahman al-Barquqi. Cairo: Dar al-Fikr al-‘Arabi, 1904.

Al-Nawzawazi, Muhammad. Al-Mughni fi al-Qira’at. Edited by Mahmud al-Shinqiti. 1st ed. Saudi Arabia: Saudi Scientific Society for the Qur’an and Its Sciences, 2018.

Al-Bukhari, Muhammad ibn Isma‘il. Sahih al-Bukhari. Book of the Virtues of the Qur’an, Hadith no. 4991. 1st ed. Beirut: Dar Ibn Kathir, 2002.

Ibn al-Jazari, Muhammad. Al-Nashr fi al-Qira’at al-‘Ashr. Edited by al-Salim al-Shinqiti. Medina: King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur’an, 1435 AH.

Ibn Jarir al-Tabari, Muhammad. Jami‘ al-Bayan ‘an Ta’wil Ay al-Qur’an. 3rd ed. Cairo: Maktabat wa Matba‘at al-Babi al-Halabi wa Awladuh, 1968.

Al-Darwish, Muhyi al-Din. I‘rab al-Qur’an al-Karim. 17th ed. Damascus: Dar Ibn Kathir, 1999.

Al-Dahham, Munir. Al-Shaykh Ibn ‘Uthaymin (1421–1437 AH): His Scholarly Efforts and Rhetorical Views. 1st ed. Lebanon: Dar Ibn Hazm, 2013.

Al-Farra’, Yahya ibn Ziyad. Ma‘ani al-Qur’an. Edited by Muhammad al-Najjar. Cairo: Al-Dar al-Misriyya, p. 358.

Al-Biskri, Yusuf. Al-Kamil fi al-Qira’at al-Khamsin. Edited by ‘Umar Hamdan and Taghrid Hamdan. 1st ed. Medina, 2015.

Al-Sakkaki, Yusuf. Miftah al-‘Ulum. Edited by Na‘im Zarzur. 3rd ed. Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyya, 1987.

Aḥmad Saʿd Muḥammad, "Al-Tawjīh al-Balāghī lil-Qirāʾāt al-Qurʾāniyyah." (Al-Qāhirah: Maktabat al-Ādāb).

ʿAbd al-Raḥīm ʿAbd al-Raḥmān, "Al-Maʿālim al-Balāghiyyah fī Tawjīh al-Qirāʾāt al-Qurʾāniyyah." Al-Majallah al-Iliktrūniyyah al-Shāmilah Mutaʿaddidat al-Takhassuṣāt 20, (2020).

Munāʾ al-Ghāmidī, "Al-Qaṣdiyyah al-Tadāwuliyyah fī Qiṣṣat Qawm Sabaʾ." Majallat Kulliyyat al-Lughah al-ʿArabiyyah bi Asyūṭ 2, (2023).

Taghrīd al-Khaṭīb, "Ikhtilāf Aḥruf al-Tanzīl fī al-Qaṣaṣ al-Qurʾānī: Qiṣṣat Sabaʾ Unmūdhajan." Journal of the Faculty of Usul al-Din and Da'wah in Asyut 40, (2022).

Al-Rāghib al-Aṣfahānī, Al-Mufradāt fī Gharīb al-Qurʾān. (Ṭ1, Beirut: Dār al-Qalam, 1412 AH).


الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
١٣٨١
١٩٦١

The Islamic University Journal of Arabic Language and Literature



Issue : 20

Apr - Jun 2026

part 2